الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية

السيرة النبوية

في ضوء روايات الإمام الطبري

أعدها
د. أحمد عبد الرحيم السايح

راجعها
د. علي أحمد الخطيب

الجزء الاخير

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - رجب ١٤٠٩ هـ

السيرة النبوية

فى ضوء روايات الإمام الطبرى

أعدها
د. أحمد عبد الرحيم السايح

راجعها
د. على أحمد الخطيب

الجزء الاخير

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية . رجب ١٤٠٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلقه واسماه ، سيدنا محمد ﷺ رسوله الخاتم ومصطفاه . وعلى آله وصحبه آل الخير الهداه .

وبعد :

فهذا هو الجزء الأخير من السيرة العطرة لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ مقتبسة ومعالجه فى إطار « روايات الإمام ابى جعفر محمد ابن جرير الطبرى » اودعنا فيها ـ بفضل الله كل ما احسسنا بضرورة معرفته والانتفاع به من تلك السيرة النادرة .

والله نسال حسن القبول ، والمغفرة فى التقصير . والرجاء بالإرشاد إلى كل نافع يحتاج إليه المسلمون .. إنه سميع قريب .

د. على احمد الخطيب

احداث السنة السادسة للهجرة

خرج رسول الله ـ ﷺ ـ فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خُبَيْب بن عدى واصحابه ، فَحَذِره بنولحيان وفروا منه إلى رءوس الجبال ، يتمنعون بها .

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة فلم يُقِمْ إلا ليالى قلائل حتى أغار عيينه بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى فى خيل لغطفان على لقاح[1] رسول الله ـ ﷺ ـ بالغابة ، وفيها رجل من بنى غفار وامرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح .

عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة ـ يعنى بعد صلح الحديبية ـ فبعث رسول الله ﷺ بظهره[2] مع رباح غلام رسول الله ، وخرجت معه بفرس لطلحة بن عبيد الله . فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عيينة قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يارباح ؛ خذ هذا الفرس وابلغُه طلحة . وأخبر رسولَ الله أن المشركين قد أغاروا على سَرْحه . ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة ، فناديت ثلاثة أصوات : ياصباحاه ! ثم خرجت فى آثار القوم ارميهم بالنبل ، وارتجز واقول : « أنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضَّع » .

---

(١) الإبل الحوامل ذوات اللبن ـ عن محققه .

(٢) الظهر : الإبل التى تعد للركوب .

قال : فوالله مازلت أرميهم وأعقِر بهم[٣] ، فإذا رجع إلىّ فارس منهم أتيت شجرة وقعدت فى أصلها ، فرميته فعقرت به ؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا فى متضايق علوت الجبل ثم أرَدِّيهم بالحجارة ؛ فوالله مازلت كذلك حتى ما خَلق الله بعيراً من ظهر رسول الله ﷺ إلا جعلته وراء ظهرى ، وخَلَّوْا بينى وبينه، وحتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وثلاثين بردة يستخفون[٤] بها لا يلقون شيئاً إلا جعلت عليه آراما[٥] حتى يعرفه رسول الله ﷺ وأصحابه .

..... قال : فرجعوا فما برحت مكانى ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر ؛ أولهم الأخرم الأسدى وعلى إثره أبو قتادة الأنصارى ، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندى ، فأخذت بعنان فرس الأخرم .

فولوا مدبرين قال : ويعدلون قبل غروب الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قرد يشربون منه وهم عطاش ؛ فنظروا إلىّ أعدو فى آثارهم ؛ فحليتهم[٦] فما ذاقوا منه قطرة .

قال : ويسندون فى (ثنية ذى أثير)[٧] ، ويعطف على واحد فأرشقه بسهم فيقع فى نُغْض[٨] كتفه ، فقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع .

---

(٣) اقتل مركوبهم .

(٤) يلقونها ليكونوا خفافا فيستطيعون الفرار .

(٥) أى إلا جعلت عليه علامة .. آرام : أعلام .

(٦) طردتهم .

(٧) مكان .

(٨) العظم الرقيق على طرف الكتف سمى بذلك لكثرة تحركه - عن محلله .

فقال : أكوعى غدوة ! قلت : نعم ياعدو نفسه ؛ وإذا فرسان على الثنية ، فجئت بهما أقودهما إلى رسول الله[٩] ﷺ ولحقنى عامر عمى بعد ما اظلمت بسطيحة[١٠] فيها مذقة من لبن ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضأت وصليت وشربت ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذى حليتهم عنه ، عند (ذى قرد) وإذا رسول الله قد أخذ تلك الإبل التى استنقذت من العدو ، وكل رمح ، وكل بردة ؛ وإذا بلال قد نحر ناقة من الإبل التى استنقذت من العدو ، فهو يشوى لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فقلت : يارسول الله : خلنى فلانتخب مائة رجل من القوم ، فاتبع القوم فلا يبقى منهم عين . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدا ـ وقد بانت ـ نواجذه . (فى ضوء النار) . ثم قال : أكنت فاعلا ! فقلت : إى والذى أكرمك !.....

فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ : خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رَجَّالتنا سلمة بن الأكوع . ثم أعطانى رسول الله ﷺ[سهمين] سهم الفارس ، وسهم الراجل ؛ [فجمعهما لى جميعا] ثم أردفنى رسول الله وراءه على العضباء[١١] ؛ [راجعين إلى المدينة] ... فلم نمكث بها إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر .

---

(٩) قال محققه : « صحيح مسلم » : وأردوا فرسين على ثنية ، قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ـ ﷺ .

(١٠) السطيحة : إناء من جلود سطح بعضها عن بعض ، والمذقة : قليل من لبن ممزوج بماء ـ عن محققه .

(١١) العضباء : لقب ناقة رسول الله ـ ﷺ .

ذكر غزوة بنى المصطلق

وبسنده إلى محمد بن يحيى بن حبان ، قال :كُلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بالمصطلق(١٢) يجتمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار ؛ أبو جويرية بنت الحارث ، زوج النبى ﷺ ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم ، يقال له : المريسيع ، من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا قتالا شديداً ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفّل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ؛ فأفاءهم الله عليه .

وحدث أن غضب رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول لحدث من زحام وقع على ماء بين غلام لعمر بن الخطاب هو جهجاه بن سعيد وسنان الجهنى حليف بنى عوف من الخزرج فاستغل ابن أُبَى هذا الحدث وقال عن المهاجرين : نافرونا وكاثرونا فى بلادنا .. أما ـ والله ـ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وأخبر الغلام الصادق زيد بن أرقم رسول الله ـ ﷺ ـ بهذا الأمر ـ وحلف ابن أبى وأصحابه أن ذلك لم يحدث ونزل القرآن بسورة (الْمُنَافِقُون) مصدقا لزيد بن أرقم .

قال ابن إسحاق : وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبَى الذى كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد

---

(١٢) أى بنى المصطلق .. ومثلها : بلحارث فى كتابة القدماء تعنى بنى الحارث وهكذا .

ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة : أن عبد الله بن عبد الله ابن أُبَىِ بن سلول أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، إنه قد بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أُبَى ـ فيما بلغك عنه ـ فإن كنت فاعلا فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى ؛ وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله ؛ فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ : بل نرفُق به ، ونحسن صحبته مابقى معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويعنفونه ويتوعدونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلته يوم أمرتنى بقتله ، لأُرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . قال ، فقال عمر : قد والله علمت ، لأمر رسول الله ـ ﷺ ـ أعظم بركة من أمرى ....

وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس كثير ، وَقَتَلَ على بن أبى طالب منهم رجلين : مالكا وابنه ، وأصاب رسول الله ـ ﷺ ـ منهم سبيا كثيرا ، فقشا قسمه فى المسلمين ، ومنهم جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوج النبى ـ ﷺ .

حديث الإفك

قال أبو جعفر : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال وأقبل رسول الله ـ ﷺ ـ من سفره ذلك ..... حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى سفره ذلك ـ قال أهل الإفك فيها ما قالوا .

قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بنى المصطلق ، أقرع بين نسائه كما كان يصنع ؛ فخرج سهمى عليهن ، فخرج بى رسول الله ﷺ . قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق[١٣] لم يهبجهن[١٤] اللحم فيثقلن . قالت : وكنت إذا رحل بعيرى جلست فى هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون هودجى فى بعيرى ، ويحملونى فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، وجه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا ، فبات فيه بعض الليل ، ثم أذّن فى الناس بالرحيل ، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع[١٥] ، ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ؛ فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل . قالت : فرجعت عودى على بدئى إلى المكان الذى ذهبت إليه ؛

---

(١٣) العلق : بضم فقتح ؛ وهى مافيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء . عن محققه .

(١٤) التهبيج كالورم فى الجسم ، قد يكون من سمن وقد يكون من آفة .

(١٥) خرز من ظفار وهى بلده باليمن .

فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلاف القوم الذين كانوا يرحلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى الذى ذهبت إليه ؛ وعرفت أن لو قد افتقدونى قد رجعوا إلىَّ . قالت : فوالله إنى لمضطجعة ، إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى(١٦) ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس فى العسكر ، فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف على فعرفنى ـ وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب ـ فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! اظعينة رسول الله ! وانا متلففة فى ثيابى . قال : ما خلفك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرب البعير فقال : اركبى رحمك الله ! واستأخر عنى . قالت : فركبت وجاء فأخذ برأس البعير ، فانطلق بى سريعاً يطلب الناس ؛ فوالله ماأدركنا الناس ، وما افتقِدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهل الإفك فىَّ ما قالوا . فارتج العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك . ثم قدمنا المدينة ، فلم أمكث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغنى شىء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوى ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى ؛ كنت إذا اشتكيت رحمنى ولطف بى ؛ فلم يفعل ذلك فى شكواى تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل على وأمى تمرضنى ، قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت فى نفسى مما رأيت من جفائه عنى ، فقلت له : يارسول الله ، لو أذنت لى فانتقلتُ إلى أمى فمرضتنى ! قال : لا عليك ! قالت : فانتقلت إلى أمى ،

ولا أعلم بشىء مما كان ، حتى نقِهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها : إنما كنا نخرج فى فسح المدينة ؛ وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ؛ فخرجت ليلة لبعض حاجتى ، ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنها لتمشى معى ، إذ عثرت فى مرطها(١٧) ، فقالت : تعس مسطح(١٨) ! قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ! قالت : أو ما بلغك الخبر يابنت أبى بكر ! قالت : قلت . وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت فما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى . قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ! تحدث الناس بما تحدثوا به ويبلغك ما بلغك ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ! قالت : أى بُنَيَّه خفضى الشأن(١٩) ؛ فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثَّرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك . ثم قال : «أيها الناس، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى، ويقولون عليهن غير

---

(١٦) كنيته : أبو عمرو : وكان يتخلف فيكون بمؤخرة العسكر ، يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، كذلك ذكر له حديث يبين أنه كان ثقيل النوم .

(١٧) المرط : الكساء : عن محققه .

(١٨) قال ابن هشام : « ومسطح لقب ، واسمه عوف » . عن محققه .

(١٩) هونى الأمر على نفسك .

الحق ! والله ما علمت منهن إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ! وما دخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى». قالت: وكان كُبر ذلك عند عبد الله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج ؛ مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش ـ وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمنة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارنى لأختها زينت بنت جحش ـ فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسّيد بن حضير أخو بنى عبد الأشهل : يارسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك ؛ فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عبادة ـ وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحاً ـ فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! قال أسيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ! قالت : وتثاوره(٢٠) الناس حتى كاد أن يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ، ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل علىٌ ، قالت : فدعا على بن ابى طالب وأسامة بن زيد ؛ فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يارسول الله ، اهلك ، ولا نعلم عليهن إلا خيراً ؛ وهذا الكذب والباطل . وأما على فإنه قال : يارسول الله ؛ إن النساء لكثير ؛ وإنك لقادر على أن تستخلف ؛ وسل الجارية

---

(٢٠) نازع بعضهم بعضا .

فإنها تصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها . قالت : فقام إليها علىّ فضربها ضرباً شديداً[٢١] ؛ وهو يقول : أصدقى رسول الله : قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة ؛ إلا أنى كنت أعجن عجينى فأمرها أن تحفظه فتنام عنه ، فيأتى الداجن[٢٢] فيأكله .

ثم دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ؛ وأنا أبكى وهى تبكى معى ؛ فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ياعائشة ؛ إنه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ؛ وإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن قال ذلك ، تقلص دمعى ؛ حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يجيبا رسول الله ﷺ فلم يتكلما . قالت : وايْمُ الله لأنا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأنا من أن ينزل الله عز وجل فىَّ قرآنا يقرأ به فى المساجد ، ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله فى نومه شيئا يكذب الله به عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبرا ؛ فأما قرآن ينزل فىَّ ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان . قالت : قلت ألا تجيبان رسول الله ! قالت : فقالا لى : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وايْمُ الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ! قالت : فلما استعجما علىَّ استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ؛ والله لئن أقررت بما يقول

(٢١) عن السهيلى ـ فى معناه : أغلظ لها القول .
(٢٢) الشياه .

الناس ـ والله يعلم أنى منه بريئة ـ لتصدقنى : لاقولن مالم يكن ؛ ولئن أنا انكرت ما تقولون لا تصدقوننى . قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما اذكره ؛ ولكنى اقول كما قال ابو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجي بثوبه ، ووضعت وسادة من ادم تحت راسه ؛ فأما انا حين رايت من ذلك ما رايت ؛ فوالله ما فزعت كثيراً ولا باليت ؛ قد عرفت انى بريئة ، وأن الله غير ظالمى ، وأما أبواى ؛ فوالذى نفس عائشة بيده ، ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن انفسهما فرقا أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سرى عن رسول الله ﷺ ، فجلس وإنه ليتحدر منه مثل الجمان[٢٣] فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ؛ فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما انزل الله عز وجل من القرآن فىّ ثم أمر بمسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ـ وكانوا ممن افصح بالفاحشة ـ فضربوا حدهم .

وبسنده عن ابن حميد ، أن أبا ايوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ؛ وذلك الكذب ؛ اكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ! قالت : لا والله ما كنت لأفعله قال : فعائشة والله خير منك . قال : فلما نزل القرآن

---

(٢٣) مثل اللؤلؤ الصغار .

ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ .. الآية ؛ وذلك حسان بن ثابت فى أصحابه الذين قالوا ما قالوا .

ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ الآية ، أى كما قال أبو أيوب وصاحبته . ثم قال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ .. ﴾ الآية . فلما نزل هذا فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عز وجل فى ذلك : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ .. ﴾ الآية .

قالت : فقال أبو بكر : والله لأحب أن يغفر الله لى . فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قال أبو جعفر :

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالا ، وخرج فى ذى القعدة من سنة ست معتمراً .

عمرته ـ ﷺ ـ التى صد عنها بالحديبية

خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية ، يريد زيارة البيت ولا يريد قتالا ، وساق معه سبعين بدنة .

قال الزهرى : فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بـ (عُسْفان) لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال له : يارسول الله ، هذه قريش قد سمعوا بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل(٢٤) قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى (كراع الغميم) .

قال ابن إسحاق . فقال رسول الله ﷺ : ياويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش ! فوالله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة(٢٥) .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أن رجلا من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم على طريق وعر حزن بين شعاب ، فلما أن خرجوا

---

(٢٤) العوذ : جمع عائذ ، وهن من الإبل الحديثة النتاج ـ المطافيل التى معها أولادها يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان . عن محققه .

(٢٥) صفحة العنق .

منه ـ وقد شق ذلك على المسلمين ، وافضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ـ قال رسول الله ﷺ للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسول الله ﷺ : والله إنها للحطة(٢٦) التى عرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : ثم أمر رسول الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظهرى الحمض فى طريق تخرجه على ثنية المرار ؛ على مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة(٢٧) الجيش ، وأن رسول الله ﷺ قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك فى ثنية المرار ، بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت(٢٨) ! فقال : ما خلأت ، وما هو لها بخُلق ؛ ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ؛ لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، فقيل : يارسول الله ما بالوادى ماء ننزل عليه ! فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل فى قليب من تلك القُلب فغرزه فى جوفه ، فجاش الماء بالرى حتى ضرب الناس عليه بعطن(٢٩) ....

عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : نزل رسول الله ﷺ بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ قليل الماء ، إنما يتبرَّضَهُ الناس تبرُّضاً ، فلم يُلَبِّثْهُ الناس أن نزحوه ، فشُكى إلى رسول الله ﷺ

---

(٢٦) يريد قوله تعالى ـ لبنى إسرائيل : « وقولوا حطة » ، ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا » عن محلقه » .

(٢٧) ما يثيره من الغبار .

(٢٨) بركت .

(٢٩) مثل لاتساع الناس .

العطش ، فنزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه ، فبيناهم كذلك جاء بُديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه خزاعة ، وكانوا عيبة[٣٠] نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة ، فقال : إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد نزلوا أعداد[٣١] مياه الحديبية ، معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال النبى ﷺ : إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاءوا مادَدَناهم مدة ، وَيُخَلُّوا بينى وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا ؛ وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى[٣٢] ، أو لينفذن الله أمره . فقال بديل : سنبلغهم ما تقول .

فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولا ؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشىء ، وقال ذو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول ، قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبى ﷺ . فقام عروة بن مسعود الثقفى ، فقال : أى قوم ؛ ألستم بالوالد ! قالوا : بلى ، قال : أو لست بالولد ! قالوا : بلى ، قال : فهل تتهموننى ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ ؛ فلما بَلَّحَوا[٣٣] على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ! قالوا : بلى .

---

(٣٠) عيبة فلان : خاصته وموضع سره .

(٣١) جمع (عِدّ) بكسر العين : الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها ـ عن محققه .

(٣٢) السالفة : صفحة العنق ، لكل جانب منه سالفة .

(٣٣) أى أبوا ـ « عن محققه » .

..... قال : فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، ودعونى آته ، فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبى ﷺ فقال النبى - عليه الصلاة والسلام - نحوا من مقالته لبديل .

فعاد فبلغ قومه وكرر مقالته .. إنه قد عرض عليكم خطة رشد فا قبلوها فقال رجل من كنانة : دعونى آته ، فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه قال النبى ﷺ : هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البدن ، فابعثوها له ، فبعثت له ، واستقبله قوم يلبون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت .

[وعن الزهرى] : ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة - أو ابن زبّان وكان يومئذ سيد الأحابيش ؛ وهو أحد بلحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون(٣٤) ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض(٣٥) الوادى فى قلائده ، قد أكل أو باره من طول الحبس ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى ، فقال : يا معشر قريش ، إنى قد رأيت مالا يحل صده : الهدى فى قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ؛ قالوا له : أجلس ، فإنما انت رجل اعرابى لا علم لك .

وحدثنا ابن حميد بسنده ، قال : إن الحليس غضب عند ذلك ، وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ؛ أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له ؛ والذى نفس الحليس بيده لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له ؛ أو لانفرن بالأحابيش

---

(٣٤) يتعبدون .

(٣٥) جانبه - عن محققه .

نفرة رجل واحد ! قال : فقالوا له : مه ! كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

وقال أيوب عن عكرمة : إنه لما جاء سهيل قال النبى ﷺ : قد سهل لكم من أمركم .

وعن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال :

..... فلما رآهم رسول الله ﷺ فيهم سهيل بن عمرو قال : سهل الله لكم من أمركم ، القوم مَاتُون إليكم بأرحامكم ، وسائلوكم الصلح ، فابعثوا الهدى ، واظهروا التلبية ، لعل ذلك يلين قلوبهم ، فَلَبَّوْا من نواحى العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية ، قال : فجاء فسألوه الصلح .

وكان رسول الله ﷺ قد بعث من قبل قدوم سهيل عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته .. (كذا عن ابن إسحاق) قال : فدعا رسول الله ﷺ عثمان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب : وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظما لحرمته .

فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبَان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ـ أو قبل أن يدخلها ـ فنزل عن دابته ، فحمله بين يديه ، ثم ردفه وأجاره ؛ حتى بلِّغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى اتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ؛ قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ؛ فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل .

قال : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله ﷺ حين بلغه أن عثمان قد قتل ، قال : لا نبرح حتى نناجز القوم ؛ ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة .

حدثنى ابن عمارة الأسدى ، قال : حدثنى عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عبيدة ، عن إياس بن سلمة ، قال : قال سلمة بن الأكوع : بينما نحن قافلون من الحديبية ، نادى منادى النبى ﷺ : أيها الناس ؛ البيعة البيعة ! نزل روح القدس . قال : فسرنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سمرة ، قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذى كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لؤى إلى رسول الله ﷺ : وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ؛ قال : فعلام نعطى الدنية[٣٦] فى ديننا ! قال أبو بكر : يا عمر الزم

---

(٣٦) الذل والأمر الخسيس ـ عن محققه .

غرزة[٣٧] ؛ فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله قال : ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، ألست برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى . قال : فكان عمر يقول : مازلت أصوم وأتصدق وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلمت به : حتى رجوت أن يكون خيراً .

عن أبى جعفر بسنده إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : ثم دعانى رسول الله ﷺ ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : « باسمك اللهم » ، فقال رسول الله : اكتب « باسمك اللهم » ، فكتبها . ثم قال : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . فقال سهيل بن عمرو : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : أكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله لم ترده عليه . وأن بيننا عيبة مكفوفة[٣٨] وأنه لا إسلال[٣٩] ولا إغلال ؛ وأنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول

---

(٣٧) أى أمره ـ « عن محققه » .
(٣٨) عيبة مكفوفة ، أى لا تكون عداوة بيننا ، على التمثيل ـ « عن محققه » .
(٣٩) الإسلال : السرقة الخفية ـ « عن محققه » .

الله وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم ، دخل فيهم » فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد رسول الله وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدها - » وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ؛ فأقمت بها ثلاثا ، وأن معك سلاح الراكب ، السيوف فى القرب لا تدخلها بغير هذا » .

فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ - قال : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ؛ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا - فلما رأى سهيل أبا جندل ، قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بلببه ، فقال : يا محمد قد لجت(٤٠) القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ! قال : صدقت ، قال : فجعل يَنْتَره بلببه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته :

يا معشر المسلمين ، أُرَدُّ إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ! فزاد الناس ذلك شرا إلى ما بهم فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ، احتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجاً ؛ إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً ، وأعطيناهم على ذلك عهداً ، وأعطونا عهداً ، وإنا لا نغدر بهم .

---

(٤٠) لجت القضية : تمت .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : أصبر يا أبا جندل ؛ فإنما هم المشركون ؛ وإنما دم أحدهم دم كلب !

قال : ويدنى قائم السيف منه ، قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، قال : فضن الرجل بأبيه .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين : أبا بكر بن أبى قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسلمة أخا بنى عبد الأشهل ، ومكرز بن حفص بن الأخيف ـ وهو مشرك ـ أخا بنى عامر بن لؤى ، وعلى بن أبى طالب ، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة ..

فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضيته قال لأصحابه : قوموا فانحروا ، ثم أحلقوا . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ؛ فلما لم يقم منهم أحد ، قام فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقى من الناس ، فقالت له أم سلمة : يا نبى الله ، أتحب ذلك ! اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك ؛ وتدعو حالقك فيحلقك ؛ فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك ؛ نحربدنته ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ؛ وجعل بعضهم يحلق بعضا ؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان الذى حلقه ـ فيما بلغنى ذلك اليوم ـ خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى .

وبسنده إلى ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون ؛ فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال يرحم الله المحلقين ؛ قالوا : والمقصرين يارسول

الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا : يارسول الله : والمقصرين ؟ قال : والمقصرين ؛ قالوا : يارسول الله ؛ فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لأنهم لم يشكُّوا .

ابن عباس ، قال : أهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل ، فى رأسه برة من فضة ، ليغيظ المشركين بذلك .

عن ابن إسحاق عن الزهرى ، قال : يقول الزهرى : فما فُتِح فى الإسلام فتحٌ قبله كان أعظم منه ؛ إنما كان القتال حيث التقى الناس ـ فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا فالتقوا ؛ وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ، فلقد دخل فى تينك السنتين فى الإسلام مثل ما كان فى الإسلام قبل ذلك واكثر ...

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، جاءه أبو بصير ؛ رجل من قريش ـ قال إبن إسحاق فى حديثه : أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية ـ وهو مسلم ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله كتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله ﷺ ، وبعث رجلا من بنى عامر بن لؤى ، ومعه مولى لهم . فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير ؛ إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ؛ ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

قال : فأنطلق معهما حتى إذا كان بذى الحليفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر؟ قال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال : إن شئت ! فاستله

أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله طالعاً ، قال : إن هذا رجل قد رأى فزعا ، فلما انتهى إلى رسول الله قال : ويلك ! مالك ! قال : قتل صاحبكم صاحبي ؛ فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف ، حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي ﷺ : ويل أمه مِسْعَر حرب ! ـ وقال ابن إسحاق في حديثه : مِحَشُّ حرب ـ لو كان معه رجال ! فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير : « ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال » ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ؛ وينفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا منهم ؛ فكانوا قد ضيقوا على قريش ؛ فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ يناشدونه بالله وبالرحم لما أرسل إليهم ! فمن أتاه فهو آمن ، فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه المدينة .

زاد ابن إسحاق في حديثه : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري أسند ظهره إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخر ظهري عن الكعبة ؛ حتى يودوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السفهُ ! والله لا يُودَى ! ثلاثا .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب في حديثهما : ثم جاءه ـ يعني رسول الله ـ نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عز وجل عليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِذَا جَاءكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ ـ حتى بلغ : ﴿ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ . قال : فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امراتين كانتا له فى الشرك . قال : فنهاهم أن يردوهن ، وأمرهم أن يردوا الصداق حينئذ .

قال رجل للزهرى : أمِنْ أجل الفروج ؟ قال : نعم ؛ فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

زاد ابن إسحاق فى حديثه : وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة ؛ فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة ؛ حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى كان بينه وبين قريش فى الحديبية ؛ فلم يفعل ، أبى الله عز وجل ذلك .

وقال أيضا فى حديثه : كان ممن طلق عمر بن الخطاب ؛ طلق امراتيه قُرَيْبَة بنت ابى أمية بن المغيرة ؛ فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ؛ وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم عبيد الله بن عمر ؛ فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم ، رجل من قومها ؛ وهما على شركهما بمكة .

وقال الواقدى : فى هذه السنة ـ فى شهر ربيع الآخر منها ـ بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن فى أربعين رجلا إلى الغمر ؛ فيهم ثابت بن اقرم وشجاع بن وهب ؛ فأغذ السير ، ونَذِر القوم به فهربوا ؛ فنزل على مياههم وبعث الطلائع ؛ فأصابوا عينا فدلهم على بعض ماشيتهم ؛ فوجدوا مائتى بعير ، فحدروها إلى المدينة .

***

وفيها أَسْرى رسول الله ﷺ سرية أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة فى شهر ربيع الآخر فى أربعين رجلا ، ووافوا ذا القصة مع

عماية الصبح ، فأغاروا عليهم ، وأصابوا نعماً وورثة [٤١] ورجلاواحداً فأسلم ، فتركه رسول الله ﷺ .

***

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة بالجموم ، فأصاب امرأة من مُزينة ؛ يقال لها حليمة ، فدلتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصابوا بها نعما وشاء وأسراء ؛ وكان فى أولئك الأسراء زوج حليمة ، فلما قفل بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزنية زوجها ونفسها .

***

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص فى جمادى الأولى منها .

***

وفيها أخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع ؛ فاستجار بزينب بنت النبى ﷺ فأجارته .

***

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرَّف ، فى جمادى الآخرة ، إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا ؛ فهربت الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيرا .

***

وفيها سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى فى جمادى الآخرة . وسببها أن ناسا من جذام قطعوا الطريق فيها على دحية بن الكلبى ـ رضى الله عنه .

***

---

(٤١) سقط المتاع .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى فى رجب .

***

قال : وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فى شعبان ؛ وقال له رسول الله ﷺ : إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم ؛ فأسلم القوم ، فتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ ؛ وهى أم أبى سلمة ؛ وكان أبوها راسهم وملكهم .

***

قال : وفيها أجدب الناس جدبا شديداً ، فاستسقى رسول الله ﷺ فى شهر رمضان بالناس .

***

قال : وفيها سرية على بن أبى طالب عليه السلام إلى فدك فى شعبان .

قال : وحدثنى عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عقبة ، قال : خرج على بن أبى طالب فى مائة رجل إلى فدك ، إلى حى من بنى سعد ابن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ؛ فسار إليهم بالليل وكمن النهار ؛ وأصاب عينا ؛ فأقر لهم أنه بُعِث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر .

***

وفيها سرية زيد بن حارثة إلى بنى فزارة فلقيهم بوادى القرى .

****

قال محمد بن عمر : وفيها سرية كرز بن جابر الفهرى إلى العرنيين الذين قتلوا راعى رسول الله - ﷺ - واستاقوا الإبل فى شوال من سنة ست ، وبعثه رسول الله - ﷺ - فى عشرين فارسا .

قال : وفيها بعث رسول الله ـ ﷺ ـ الرسل : قال ابن إسحاق : ثم فرق رسول الله ﷺ بين أصحابه ؛ فبعث سليط بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد وِدّ اخا بنى عامر بن لؤى إلى هوذة بن على ، صاحب اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى أخى بنى عبد القيس صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن جُلَندَى وعباد بن جُلَنْدى الأزديِّين صاحبى عمان . وبعث حاطب بن ابى بلتعة إلى المقوقس صاحب الأسكندرية ؛ فأدى إليه كتاب رسول الله ﷺ ، وأهدى المقوقس إلى رسول الله ﷺ اربع جوار ، منهن مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ . وبعث رسول الله دحية بن خليفة . الكلبى ثم الخزجى إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم قال : وقدم عليه كتاب رسول الله ﷺ مع دحية بن خليفة الكلبى : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : أسلم تَسْلَم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ؛ وإن تتول فإن إثم الاكارين عليك ـ يعنى تِحِمَّاله .

وعنه بسنده إلى ابن شهاب الزهرى : قال حدثنى أسقفٌ للنصارى أدركته فى زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله ﷺ وأمر هرقل وعقله ، قال : فلما قدم عليه كتاب رسول الله ﷺ مع دحية بن خليفة ، أخذه هرقل ، فجعله بين فخذيه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ويصف له شأنه ، ويخبره بما جاء منه ؛ فكتب إليه صاحب رومية : إنه للنبى الذى كنا ننتظِرُه ؛ لاشك فيه ؛ فاتَّبعه وَصَدقّه .

فأمر هرقل ببطارقة الروم ؛ فجمعوا له فى دسكرة[٤٢] ، وأمر بها فأشرجَت[٤٣] أبوابها عليهم ؛ ثم اطلع عليهم من عُلّيّة له ؛ وخافهم على نفسه ، وقال : يامعشر الروم ؛ إنى قد جمعتكم لخير ؛ إنه قد أتانى كتاب هذا الرجل يدعونى إلى دينه ؛ وإنه والله للنبى الذى كنا ننتظره ونجده فى كتبنا ؛ فهلموا فلنتبعه ونصدقه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .

قال : فنخروا نخرة رجل واحد ؛ ثم ابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد أغلقت ؛ فقال : كروهم علىّ ـ وخافهم على نفسه ـ فقال : يا معشر الروم ؛ إنى قد قلت لكم المقالة التى قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذى قد حدث ؛ وقد رأيت منكم الذى أسر به ؛ فوقعوا له سجداً ؛ وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم ؛ فانطلقوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدحية بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ : ويحك ! والله إنى لأعلم أن صاحبك نبى مرسل ؛ وأنه الذى كنا ننتظره ونجده فى كتابنا ؛ ولكنى أخاف الروم على نفسى ؛ ولو لا ذلك لاتبعته ؛ فاذهب إلى صفاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم ؛ فهو والله أعظم فى الروم منى ، وأجوز قولا عندهم منىّ ؛ فانظر ما يقول لك .

قال : فجاءه دحية ؛ فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وبما يدعوه إليه ، فقال صفاطر : صاحبك والله نبى مرسل ؛ نعرفه بصفته ، ونجده فى كتبنا باسمه .

---

(٤٢) الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت ، وهو المراد هنا ـ « عن محققه » .
(٤٣)أشرجت : سدت . « عن محققه » .

ثم دخل فالقى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثياباً بيضا ، ثم اخذ عصاه ؛ فخرج على الروم وهم فى الكنيسة ، فقال : يا معشر الروم ؛ إنه قد جاءنا كتاب من أحمد ؛ يدعونا فيه إلى الله عز وجل ؛ وإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن أحمد عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه وثبة رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على انفسنا ؛ فضغاطر ـ والله ـ كان أعظم عندهم وأجوز قولاً منى .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب ، اخا بنى اسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبى شمر الغسانى ؛ صاحب دمشق .

وقال محمد بن عمر الواقدى : وكتب إليه معه : سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به . إنى ادعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك .

فقدم به شجاع بن وهب ، فقرأه عليهم ، فقال : من ينزع منى ملكى ! أنا سائر إليه ؛ قال النبى ﷺ : باد ملكه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب واصحابه ؛ وكتب معه كتاباً .

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة ، سلم انت ؛ فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ؛ وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ؛ فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ؛ والموالاة على طاعته ؛ وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ؛

فإنى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمى جعفراً ونفراً معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فاقرهم ، ودع التجبر ؛ فإنى أدعوك وجنودك إلى الله ؛ فقد بلغت ونصحت ؛ فاقبلوا نصحى ؛ والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشى إلى رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشى الأصحم بن ابجر .

سلامٌ عليك يانبى الله ورحمة الله وبركاته من الله الذى لا إله إلا هو ، الذى هدانى إلى الإسلام . أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً(٤٤) إنه كما قلت ؛ وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ؛ وقد قرينا ابن عمك وأصحابه ؛ فاشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً ؛ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين ؛ وقد بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم بن أبجر ؛ فإنى لا أملك إلا نفسى ؛ وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله ؛ فإنى أشهد أن ما تقول حق ، والسلام عليك يارسول الله .

قال ابن إسحاق : وذكر لى أن النجاشى بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة ؛ فإذ كانوا فى وسط من البحر غرقت بهم سفينتهم ، فهلكوا .

وحُدثت عن محمد بن عمر ، قال : أرسل رسول الله ﷺ إلى النجاشى ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ؛ ويبعث بها إليه مع من عنده من المسلمين ، فأرسل النجاشى إلى أم حبيبه يخبرها بخطبة

---

(٤٤) الثفروق : أصله قمع التمر ، أو ما يلتزق به قمعها يقال : ماله ثفروق ، أى ماله شىء .

رسول الله ﷺ إياها جارية له يقال لها أبرهة : فأعطتها أوضاحاً[٤٥] لها وفتخا[٤٦] ؛ سروراً بذلك ، وأمرها أن توكل من يزوجها ، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص ، فزوجها ، فخطب النجاشى على رسول الله ﷺ ، وخطب خالد فأنكح أم حبيبة ، ثم دعا النجاشى بأربعمائة دينار صداقها ؛ فدفعها إلى خالد بن سعيد ؛ فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير ، قال : جاءت بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالا ، وقالت : كنت أعطيتك ذلك ؛ وليس بيدى شيء ، وقد جاء الله عز وجل بهذا .

فقالت أبرهة : قد أمرنى الملك الا آخذ منك شيئاً ؛ وأن أرد إليك الذى أخذت منك ، فرددته وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه ، وقد صدقت محمداً رسول الله وآمنت به ؛ وحاجتى إليك أن تقرئيه منى السلام .

قالت : نعم ؛ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عود وعنبر ؛ فكان رسول الله ﷺ يراه عليها وعندها فلا ينكره .

قالت أم حبيبة : فخرجنا فى سفينتين ؛ وبعث معنا النواتى حتى قدمنا الجار ، ثم ركبنا الظهر إلى المدينة ؛ فوجدنا رسول الله ﷺ بخيبر ، فخرج من خرج إليه ، وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله ؛ فدخلت إليه فكان يسائلنى عن النجاشى ؛ وقرأت عليه من أبرهة السلام ، فرد رسول الله ﷺ عليها ؛ ولما جاء أبا سفيان تزويج النبى ﷺ أم حبيبة قال : ذلك الفحل لا يقدع أنفه .

وفيها كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبد الله ابن حذافة السهمى ؛ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلامٌ على من اتبع الهدى ، وآمن

---

(٤٥) حليا من الفضة .

(٤٦) خاتم كبير يكون فى اليد والرجل .

بالله ورسوله ؛ وشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إلى الناس كافة ، لينذر من كان حيا ؛ اسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس .

فمزق كتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : مزّق ملكه !

قال يزيد بن أبى حبيب : ثم كتب كسرى إلى باذان ؛ وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدين ، فليأتيانى به ؛ فبعث بأذان قهرمانة وهو بابويه - وكان كاتبا حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خُرَّخُسْرَه ، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل ، وكلمه وأتنى بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجالا من قريش بنخب من أرض الطائف فسألاهم عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ؛ وقال بعضهم لبعض : ابشروا فقد نصب(47) له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل !

فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلمه بابويه ، فقال : إن شاهانشاه ملك الملوك كسرى ؛ قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ؛ وقد بعثنى إليك لتنطلق معى ؛ فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ؛ وإن أبيت فهو من قد علمت ! فهو مهلكك ومهلك قومك ، ومخرب بلادك ؛ ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ؛ فكره النظر إليهما ، ثم أقبل عليهما فقال : ويلكما ! من أمر كما بهذا ؟ قالا : أمرنا بهذا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله : لكن ربى قد أمرنى بإعفاء

(47) جد واهتم - « عن محققه » .

لحيتى وقص شاربى . ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتيانى غداً ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه ؛ فقتله فى شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل ؛ بعد ما مضى من الليل ؛ سلط عليه ابنه شيرويه فقتله .

ـ قال الواقدى : قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها ـ

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب . فدعاهما فأخبرهما ، فقالا : هل تدرى ماتقول ! إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ؛ افنكتب هذا عنك ، ونخبره الملك ! قال : نعم ، أخبراه ذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ، وينتهى إلى منتهى الخف والحافر ؛ إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ؛ وملكتك على قومك من الأبناء ؛ ثم أعطى خرخسره مُنطقة فيها ذهب وفضة ، كان أهداها له بعض الملوك .

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان ، فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإنى لأرى الرجل نبياً كما يقول ؛ ولننظرن ماقد قال ؛ فلئن كان هذا حقا ما فيه كلام ؛ إنه لنبى مرسل ؛ وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا .

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : أما بعد فإنى قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتجميرهم[48] فى ثغورهم ؛ فإذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك ؛ وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه .

---

(٤٨) التجمير : الحبس فى الثغور .

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبناء معه من فارس من كان منهم باليمن ؛ فكانت حمير تقول لخرخسره : ذو المعجزة ، للمنطقة التى أعطاه إياها رسول الله ﷺ - والمنطقة بلسان حمير المعجزة - فبنوه اليوم ينسبون إليها خرخسره ذو المعجزة .

وقد قال بابويه لباذان : ماكلمت رجلا قط أهيب عندى منه ، فقال له باذان : هل معه شرط ؟ قال : لا .

قال الواقدى : وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبط ، يدعوه إلى الإسلام فلم يسلم .

قال أبو جعفر : ولما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحجة وبعض المحرم .

احداث السنة السابعة من الهجرة
غزوة خيبر

ثم دخلت سنة سبع ؛ فخرج رسول الله ﷺ في بقية المحرم إلى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفارى ، فمضى حتى نزل بجيشه بواد يقال له الرجيع ؛ فنزل بين أهل خيبر وبين غطفان ـ فيما حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ـ ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ؛ وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ .

قال : فبلغنى أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر ، جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ؛ حتى إذا ساروا منقلة(٤٩) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهاليهم حساً* ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ؛ فأقاموا في أهاليهم وأموالهم ؛ وخلوا بين رسول الله وبين خيبر ، وبدأ رسول الله ﷺ بالأموال يأخذها مالاً مالا ، ويفتتحها حصناً حصناً ؛ فكان أول حصونهم افتتح حصن (ناعم) ؛ وعنده قتل محمود بن مسلمة ؛ ألقيت عليه رحاً منه فقتلته ؛ ثم (القموص) ؛ حصن ابن أبى الحُقيق . وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ؛ منهم صفية بنت حيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ؛ وابنتى عم لها . فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه ، وكان دحية الكلبى قد سأل رسول الله ﷺ صفية ؛ فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ؛ وفشت السبايا من خيبر في المسلمين .

---

(٤٩) مرحلة .

* اى صوتا .

.... ولما افتتح رسول الله ـ ﷺ ـ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم (الوَطِيح) و(السُّلالِم) ـ وكان آخر حصون خيبر افتتح ـ حاصرهم رسُول الله ـ ﷺ ـ بضع عشرة ليلة .... حتى إذا ايقنوا بالهلكة سألوه . أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ؛ ففعل . وكان رسول الله قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين . فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم لهم ، ويخلوا له الأموال ، ففعل ، وكان فيمن مشى بينهم وبين رسول الله ﷺ في ذلك مُحَيْصة بن مسعود ؛ أخو بني حارثة ؛ فلما نزل أهل خيبر على ذلك ؛ سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم بالأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ؛ وأعمر لها ؛ فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف : على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ وصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئًا للمسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ؛ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب . فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية(٥٠) ؛ وقد سألت : اى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثرت فيها السم ، فسمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ تناول الذراع ؛ فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ؛ ومعه بشر بن البراء ابن معرور ؛ وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسول الله فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ؛ ثم دعا بها فاعترفت ، فقال :

---

(٥٠) مشوية .

ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان نبيا فسيخبر ؛ وإن كان ملكا استرحت منه ؛ فتجاوز عنها النبى ﷺ . ومات بشر بن البراء من إكلته التى أكل .

وعنه بسنده إلى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى قال : وقد كان رسول الله ﷺ قال فى مرضه الذى توفى فيه ـ ودخلت عليه أم بشر ابن البراء تعوده : ياأم بشر ؛ إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع ابنك بخيبر .

قال : وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادى القرى فحاصر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح خيبر فى صفر .

قال : وشهد مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين ، فرضخ(٥١) لهن رسول الله ﷺ من الفىء ولم يضرب لهن بسهم .

---

(٥١) أعطى .

[امر الحجاج بن علاط السلمى]

قال : ولما فتحت خيبر قال الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى لرسول الله ﷺ : يارسول الله ؛ إن لى مالاً بمكة عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة ـ وكانت عنده ، له منها مُعَرِّض بن الحجاج ـ ومال متفرق فى تجار أهل مكة ، فأْذَن لى يارسول الله . فاذن له رسول الله ﷺ ، ثم قال : إنه لابد لى من أن أقول ، قال : قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة ، فوجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفاً ومنعة ورجالاً ، فهم يتحسسون الأخبار ؛ فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط ـ ولم يكونوا علموا بإسلامى ـ عنده والله الخبر ! أخبرنا بأمر محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ؛ وهى بلدة يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغنى ذلك ، وعندى من الخبر ما يسركم . قال : فالتاطو(٥٢) بِجَنْبَىْ ناقتى يقولون : إيه ياحجاج ! قال : قلت ؛ هزموا هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ؛ وقتل اصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، واسر محمد اسراً ، وقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين اظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا فصاحوا بمكة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة على غرمائى ؛ فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فاصيب من فَلِّ محمد واصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ماهنالك .

---

(٥٢) التصقوا .

قال : فقاموا فجمعوا مالى كأحث جمع سمعت به . فجئت صاحبتى فقلت : مالى - وقد كان لى عندها مال موضوع - لعلى الحق بخيبر ؛ فأصيب من فُرَص البيع قبل أن يسبقنى إليه التجار . فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى ؛ وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : ياحجاج ، ما هذا الذى جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم ، قلت : فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فإنى فى جمع مالى كما ترى ؛ فانصرف عنى حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ على حديثى يا أبا الفضل ؛ فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ماشئت . قال ؛ افعل ، قال : قلت فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على ابنة ملكهم - يعنى صفية بنت حيى بن أخطب - ولقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ؛ وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول ياحجاج ! قال : قلت : أى والله ؛ فاكتم على ؛ ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقا من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ؛ فهو والله على ما تحب . قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له ، وتخلق وأخذ عصاه ؛ ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ؛ فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ؛ هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال : كلا والذى حلفتم به ! لقد افتتح محمد خيبر ، وترك عروسا على ابنة ملكهم ، وأحرز أموالها وما فيها ؛

فأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ؛ لقد دخل عليكم مسلماً ، وأخذ ماله وانطلق ليلحق برسول الله وأصحابه فيكون معه ، قالوا : يال عباد الله ! أفلت عدو الله ! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ،ولم ينشبوا[٥٣] أن جاءهم الخبر بذلك .

---

(٥٣) لم يلبثوا .

[ذكر مقاسم خيبر واموالها]

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كانت المقاسم على أموال خيبر على الشق ونطاة والكتيبة : فكانت الشق ونطاة في سُهمان المسلمين ، وكانت الكتيبة خُمس الله عز وجل وخُمس النبي ﷺ ؛ وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطُعمَ ازواج النبي ، وطعم رجال مشَوْا بين رسول الله وبين اهل فدك بالصلح ؛ منهم مُحَيِّصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله ﷺ منها ثلاثين وَسْق شعير ، وثلاثين وسق تمر . وقسمت خيبر على أهل الحديبية ؛ من شهد منهم خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري ، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها .

قال : ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدَك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر ؛ فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك ، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطائف ، وإما بعد ما قدم المدينة . فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فدك لرسول الله ﷺ خاصة ،لانه لم يوجف(٥٤) عليها بخيل ولا ركاب .

فأخبرني ابن شهاب أن رسول الله - ﷺ - افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما افاء الله على رسوله ، خَمَّسها رسول الله ﷺ وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الإجلاء بعد القتال ؛ فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ؛ وتكون ثمارها بيننا وبينكم ؛ وأقُرّكم ما أقَرّكم

(٥٤) الإيجاف : سرعة السير ، والركاب هنا : الإبل - « عن محققه » .

الله . فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم فى الخرص ؛ فلما توفى الله عز وجل نبيه ﷺ اقرهها ابو بكر بعد النبى فى أيديهم على المعاملة التى كان عاملهم عليها رسول الله حتى توفى ، ثم اقرها عمر صدراً من إمارته ؛ ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال فى وجعه الذى قبض فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، ففَحَص عمر عن ذلك حتى بلَغه الثَّبَتُ ، فارسل إلى يهود أن الله قد اذن فى إجلائكم ؛ فقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتنى به انفذه له ؛ ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليتجهز للجلاء ؛ فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم .

قال أبو جعفر : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

***

قال الواقدى فى هذه السنة رد رسول الله ﷺ زينب ابنته على أبى العاص بن الربيع ؛ وذلك فى المحرم .

***

قال : وفيها قدم حاطبُ بن أبى بلتعة من عند المقوقس بمارية وأختها سيرين وبغلته دُلْدُل وحماره يعْفُور وكُسًا ؛ وبعث معهما بخَصِىّ فكان معهما ، وكان حاطب قد دعاهما إلى الإسلام قبل أن يقدم بهما ؛ فأسلمت هى وأختها ، فانزلهما رسول الله ﷺ على أم سليم بنت ملحان ـ وكانت مارية وضيئة ـ قال : فبعث النبى ﷺ بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قال : وفى هذه السنة اتخذ النبى ﷺ منبره الذى كان يخطب الناس عليه ، واتخذ درجتين ومقعده .

قال : ويقال إنه عمل فى سنة ثمان . قال : وهو الثبَت عندنا .

***

قال الواقدى : وفيها سرية غالب بن عبد الله إلى بنى عبد بن ثعلبة ، ذكر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن ابن أبى عون ، عن يعقوب ابن عتبة ، قال :

قال يسار مولى رسول الله ﷺ : يارسول الله ؛ إنى أعلم غِرَّة من بنى عبد بن ثعلبة ، فأرسل معه غالب بن عبد الله فى مائة وثلاثين رجلا ؛ حتى أغاروا على بنى عبد ، فاستاقوا النعم والشاء ، وحَدَروهُا إلى المدينة .

***

قال : وفيها سريَّة بشير بن سعد إلى يُمْن وجِنَاب ، فى شوال مَن سنة سبع ، ذكر أن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد حدثه عن سعد بن عبادة ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : الذى أهاج هذه السرية أن حُسَيل بن نويرة الأشجعى ـ وكان دليل رسول الله ﷺ إلى خيبر ـ قدم على النبى ﷺ ، فقال : ماوراءك ؟ قال : تركت جمعاً من غَطَفان بالجِناب قد بعث إليهم عيينة بن حصن ليسيروا إليكم ، فدعا رسول الله بشير بن سعد ، وخرج معه الدليل حُسَيل بن نويرة ، فأصابوا نعما وشاءً ؛ ولقيهم عبدٌ لعُيينة بن حصن فقتلوه ، ثم لقوا جمع عُيَينة ؛ فانهزم ، فلقيه الحارث بن عوف منهزماً ، قال : قد آن لك ياعيينة أن تقصر عما ترى .

عمرة القضاء

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوالا ؛ يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ، ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها ؛ وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع ؛ فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ؛ وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسر وجهد وحاجة .

وبسنده إلى ابن عباس قال : اصطفوا لرسول الله ﷺ عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد ، اضطبع بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوة ! ثم استلم الركن . وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيت منهم ؛ واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ؛ ومشى سائرها .

وكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسول الله إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم ؛ حتى حج حجة الوداع ، فَرَمَلَهَا ، فمضت السنّة بها .

وعن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك ؛ وهو حرام ؛ وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً ، فأتاه حويطب ابن عبد العزى بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش وكَّلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم فصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ! قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا . فخرج رسول الله - ﷺ وخلَّف أبا رافع مولاه على ميمونة ؛ حتى أتاه بها بسَرِف ، فبنى عليها رسول الله هنالك ، وأمر رسول الله ﷺ . أن يُبْدِلوا الْهَدْى وأبدل معهم ، فعزَّت عليهم الإبل فرخَّص لهم فى البقر ؛ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة ، فأقام بها بقية ذى الحجة - ..... والمحرم وصفرا وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤته ..... وقال الواقدى بسنده إلى محمد بن إبراهيم - قال : ساق رسول الله ﷺ فى عمرة القضية ستين بدنة .

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

ففيها توفيت ـ فيما زعم الواقدئ ـ زيْنب ابنة رسول الله ﷺ ، عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة ، عن عبد الله بن أبى بكر .

***

[خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوّح]

قال : وفيها أغزى رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثى فى صفر إلى الكديد إلى بنى الملوح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن رجل من أسلم ، عن شيخ منهم ، أن شعار أصحاب رسول الله ﷺ تلك الليلة كان : أمت أمت .

***

قال الواقدى : كانت سرية غالب بن عبد الله بضعة عشر رجلاً .

قال : وفيها بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوىَ العبدى ؛ وكتب إليه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبى رسول الله إلى المنذر بن ساوى . سلامٌ عليك ؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإن كتابك جاءنى ورسلك . وإنه من صلى صلاتنا ، وأكل ذبيحتنا ، واستقبل قبلتنا فإنه مسلم ؛ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ومن أبى فعليه الجزية . قال : فصالحهم رسول الله ﷺ على أن على المجوس الجزية . لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم .

قال : وفيها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعبّاد ابنىْ جُلَنْدَا بُعَمان ، فصدّقا النبى ، واقرا بما جاء به ، وصدّق أموالهما ، وأخذ الجزية من المجوس .

قال : وفيها سرية شجاع بن وهب إلى بنى عامر ، فى شهر ربيع الأول فى أربعة وعشرين رجلا ، فشن الغارة عليهم ، فاصابوا نَعَما وشاء ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيَراً ؛ لكل رجل .

قال : وفيها كانت سرية عمرو بن كعب الغفارى إلى ذات أطلاح ، خرج فى خمسة عشر رجلا ؛ حتى انتهى إلى ذات أطلاح ، فوجد جمعاً كثيراً ، فدعوهم إلى الإسلام ، فأبوا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحاب عمرو جميعاً ، وتحامل حتى بلغ المدينة .

قال الواقدى : وذات أطلاح من ناحية الشام ، وكانوا من قضاعة ، ورأسهم رجل يقال له سَدُوس .

قال : وفيها قدم عمرو بن العاص مسلماً على رسول الله ﷺ ، قد أسلم عند النجاشى ، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدرى ، وخالد بن الوليد بن المغيرة ، قدموا المدينة فى أول صفر .

***

قال أبو جعفر ـ بسنده : إن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما أسلم حين أسلما .

سرية ابن ابى حدرد الأسلمى

قال : وفيها كانت سرية وجهها رسول الله ﷺ فى شعبان ، أميرها أبو قتادة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عبد الله ابن أبى حدرد الأسلمى ، قال : تزوجتُ امرأة من قومى ، فأصدقتها مائتى درهم ، فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحى ، فقال : وكم أصدقت ؟ قلت : مائتى درهم يارسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم إنما تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم ! والله ما عندى ما أعينك به . قال : فلبثت أياما ؛ واقبل رجل من بنى جُشَم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس ـ أو قيس بن رفاعة ـ فى بطن عظيم من جُشَم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ؛ يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله ﷺ .

قال : وكان ذا اسم وشرف فى جُشَم . قال : فدعانى رسول الله ﷺ ورجلين ، من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتونا به ؛ أو تأتونا منه بخبر وعلم . وقدم لنا شارفاً(٥٥) عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ؛ فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت . ثم قال : تَبلَّغوا على هذه واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ؛ حتى جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيةً مع غروب الشمس ، فكمنت فى ناحية ، وأمرت

---

(٥٥) ناقة مسنة .

صاحبىّ ، فكمنّا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت وشددت على العسكر فكبرا وشُدّا معى .

قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غِرَّة أو نصيب منهم شيئاً ، غَشِينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ؛ وقد كان لهم راعٍ قد سرح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه .

قال : فاستقنا إبلاً عظيمة ، وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ ، وجئت برأسه أحمله معى ، قال : فأعاننى رسول الله ﷺ من تلك الابل بثلاثة عشر بعيراً ، فجمعت إلىّ أهلى .

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق ـ فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ، قال : لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر ؛ أقام بها شهرى ربيع ، ثم بعث فى جمادى الأولى بَعْثَهُ إلى الشأم الذين أصيبوا بمؤتة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى من سنة ثمان ؛ واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهزا لناس ، ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم وودعوهم : فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا له : ما يبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابى حب الدنيا ، ولا صبابة بكم ؛ ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ . فلست أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الورود ! فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ، فقال : عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا(٥٦)
أو طعنة بيدَىْ حرانَ مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا(٥٧)
حتى يقولوا إذا مروا على جدثى ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا !

---

(٥٦) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم .

(٥٧) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تمضى فيها ـ « عن محققه » .

ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فجاء عبد الله بن رواحة إلى رسول الله ﷺ فودعه ، ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم ؛ حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السلامُ على امرىء ودعتُه   في النخل خيرَ مُشَيَّعٍ وخليلِ

ثم مضوا حتى نزلوا (مُعان) من أرض الشأم ؛ فبلغ الناس أن هرقل قد نزل (مآب) من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضمت إليه المستعربة من لَخْم وجُذام وبلقَيْن وبهراء وبَلِيّ في مائة ألف منهم ؛ عليهم رجل من بلي ، ثم أحد إراشة ، يقال له : مالك بن رافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ، ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ونخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا برجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له فشجع الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ؛ والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ؛ فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور ، وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس ...

قال : حتىٰ إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها (مَشارِف) . ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها (مؤتة) ؛ فالتقى الناس عندها ، فتعبأ المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عُذْرَة ، يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عَبَاية بن مالك ، ثم التقى الناس ؛ فاقتتلوا ؛ فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم ؛ ثم أخذها جعفر بن

أبى طالب ؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل ؛ فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام فرسه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة وأبو تميلة ، عن محمد ابن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد ، عن أبيه ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ـ وكان أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة ـ قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ؛ فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل ؛ فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة ؛ ثم تقدم بها وهو على فرسه .

قال : ثم نزل ؛ فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم ؛ فقال : شُدَّ بها صلبك ؛ فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ؛ فأخذه من يده ؛ فانتهس منه نهسة ثم سمع الحَطْمَةَ فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفه ؛ فتقدم فقاتل حتى قتل ؛ فأخذ الراية ثابت بن أقرم ؛ أخو بلعجلان ؛ فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ الراية دافع القوم ؛ وحاشى بهم ، ثم انحاز وتحيز منه حتى انصرف بالناس ....

ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر . وأمر فنودى : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس إلى رسول الله ، فقال : باب خير ، باب خير ، باب خير ! أخبركم عن جيشكم هذا الغازى ؛ إنهم انطلقوا فلقوا العدو ، فقتل زيد شهيداً ـ واستغفر له ـ ثم أخذ اللواء جعفر ، فشد على القوم حتى قتل شهيداً ـ فشهد له بالشهادة واستغفر له ـ ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ؛ فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً ـ فاستغفر له ـ ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ـ ولم يكن من الأمراء ؛

هو أمر نفسه ـ ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره ـ فمنذ يومئذ سمى خالد سيف الله ـ ثم قال رسول الله ـ ﷺ : ابكروا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلفن منكم أحد . فنفروا مشاة وركباناً ، وذلك فى حر شديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : لما أتى رسول الله ﷺ مصاب جعفر ، قال رسول الله ﷺ : قد مر جعفر البارحة فى نفر من الملائكة ، له جناحان ، مختضب القوادم بالدم ، يريدون بيشة ؛ أرضا باليمن .

قال : وقد كان قطبة بن قتادة العذرى الذى كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن رافلة قائد المستعربة فقتله . قال : وقد كانت كاهنة من حَدَس[٥٨] حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً قد قالت لقومها من حدس ـ وقومها بطن يقال لهم بنو غنم : أنذركم قوما خُزْراً[٥٩] ، ينظرون شَزْراً ، ويقودون الخيل بُتْراً ويهريقون دما عَكْراً فأخذوا بقولها ؛ فاعتزلوا من بين لخم ؛ فلم يزالوا بعدُ أثرى حدس . وكان الذين صَلَوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ؛ بطن من حدس ؛ فلم يزالوا قليلاً بعد ؛ ولما انصرف خالد بن الوليد بالناس أقبل بهم قافلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما دنوا من دخول المدينة ، تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ،

---

(٥٨) حدس : قبيلة من لخم .

(٥٩) جمع أخزر : وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .

ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابنَ جعفر : فَأُتِيَ بعبد الله بن جعفر فأخذه ، فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون : يافُرّار فى سبيل الله ، فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بالفُرّار ؛ ولكنهم الكُرّار ؛ إن شاء الله .

* * *

..... وفيها غزا رسول الله ﷺ أهل مكة .

أبو جعفر ـ بسنده إلى ابن إسحاق

قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد بعثه إلى مؤته ، جمادى الآخرة ورجب .

ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَتْ على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة ؛ يقال له (الوتير) وكان الذى هاج مابين بنى بكر وبنى خزاعة رجل من بَلْحضرمى ، يقال له مالك بن عبّاد ـ وَحِلْفُ الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رَزْن ـ خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه ؛ وأخذوا ماله ؛ فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزن الديلى ؛ وهم منخر(٦٠) بنى بكر وأشرافهم : سلمى ، وكلثوم ، وذؤيب ؛ فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن رجل من بنى الديل ، قال : كان بنو الأسود يُوَدَّوْنَ فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونُوَدَّى دية دية لفضلهم [فينا] .

فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به ، فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله ﷺ ، وشرط لهم ـ كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ...

---

(٦٠) المنخر هنا : المتقدمون ؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه ـ « عن محققه » .

عن المِسْوَرِ بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا ـ أنه من أحب أن يدخل فى عهد رسول الله ﷺ وعقده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدهم دخل فيه ؛ فدخلت بنو بكر فى عقد قريش ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ .

فلما كانت تلك الهدنة اغتنمتها بنو الدِّيل ، من بنى بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم [ثأراً] بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل ـ وهو يومئذ قائدهم ؛ ليس كل بنى بكر تَابَعَهُ ـ حتى بَيَّتَ خزاعة ، وهم على (الوتير) : ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ؛ ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ؛ وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ؛ حتى حازوا[٦١] خزاعة إلى الحرم (فلما دخلت خزاعة مكة لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء) فلما تظاهرت [بنو بكر] وقريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ـ وكانوا فى عقده وعهده ـ خرج عمرو بن سالم الخزاعى، ثم أحد بنى كعب؛ حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ؛ وكان ذلك مما هاج فتح مكة ؛ فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس ، فقال :

لاهم إنى ناشـد محمـدا حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا[٦٢]

---

(٦١) حازوهم : ساقوهم ـ « عن محققه » .

(٦٢) ناشد : طالب ومذكر ، والأتلد : القديم .

فوالدا كنا وكنتَ وَلَدا[٦٣] ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا[٦٤]
فانصر رسول الله نصراً أَعْتَدَا[٦٥] وادع عباد الله يأتوا مددا[٦٦]
فيهم رسول الله قد تجردا[٦٧] ابيض مثل البدر يَنمِْي صُعدا
إن سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجرى مزبدا[٦٨]
إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كَدَاء رَصَدَا وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا

* فقتَّلونا رُكَّعا وسجدا *

يقول : قد قتلونا وقد أسلمنا . فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك : قد نُصرت يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب .

ثم خرج بُدَيلُ بنُ ورقاء فى نفر من خُزَاعة حتى قدموا على رسول الله المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العقد ، ويزيد فى المدة .

---

(٦٣) ابن هشام : « وقد كنتم ولداً وكنا والدا » ؛ السهيلي : « يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية » .

(٦٤) أسلمنا ، من السلم .

(٦٥) ابن هشام : « أعتدا ، أى حاضرا ، من الشيء العتيد ؛ وهو الحاضر » .

(٦٦) المدد : العون .

(٦٧) تجرد : تشمر وتهيأ ؛ وفى إحدى نسخ ابن هشام : « تحرد » ؛ بالحاء المهملة ؛ من الحرد ؛ وهو الغضب .

(٦٨) الفيلق : العسكر الكبير ـ « عن محققه » .

ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه ، فلقوا أبا سفيان بعُسْفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ليشدد العقد ويزيد فى المدة ؛ وقد رهبوا آلذى صنعوا ؛ فلما لقى ابو سفيان بديلا ، قال : من أين اقبلت يا بديل ؟ وظن انه قد اتى رسول الله ﷺ ، قال : سَرت فى خزاعة فى الساحل وفى بطن هذا الوادى . قال : أوَ ما اتيت محمداً ؟ قال : لا . قال : فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى ؛ فعمد إلى مبرك ناقته ، فاخذ من بعرها فَفَتَّهُ ؛ فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيْلٌ محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ؛ فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يابنية ؛ والله ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش ، أم رغبت به عنى ! قالت : بل هو فراش رسول الله ، وانت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله قال : والله أصابك يابنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فكلمه فلم يردد عليه شيئا ، ثم ذهب إلى ابى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر ابن الخطاب ، فكلمه فقال : أنا اشفع لكم إلى رسول الله ! ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم . ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وعنده فاطمة ابنة رسول الله ، وعندها الحسن ابن علىّ ؛ غلام يدب بين يديها ، فقال : يا علىّ ؛ إنك أمس القوم بى رحماً ، واقربهم منى قرابة ، وقد جئت فى حاجة ؛ فلا أرجعن كما جئت خائباً ، اشفع لنا إلى رسول الله ﷺ ! قال : ويحك ياأبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن

نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة ، فقال : ياابنة محمد ؛ هل لك أن تأمرى بُنَيَّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ! قالت : والله مابلغ بنيي ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير على رسول الله أحد . قال : ياأبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى . فقال له : والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة ؛ فقم فَأَجِرْ بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظن ؛ ولكن لا أجد لك غير ذلك ؛ فقام أبو سفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ؛ إنى قد أجرت بين الناس ؛ ثم ركب بعيره فانطلق .

●●●

ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ؛ وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَها فى بلادها . فَتَجَهَّزَ الناس .

وبسنده إلى عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتاباً إلى قريش ، يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ؛ ثم أعطاه امرأة ـ يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ؛ وزعم غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ـ وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً . فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به . وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ؛ فبعث عليّ بن أبى طالب والزبير بن العوام ، فقال : ادركا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم ؛ فخرجا

حتى ادركاها بالخَلِيقَة ، حليفة ابن ابى احمد : فاستنزلاها ، فالتمسا فى رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف ما كذب رسول الله ولا كذبنا ؛ وَلَتُخْرِجِنّ إلى هذا الكتاب أو لنكشفَنَّك ؛ فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض عنى ، فأعرض عنها ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منه ، فدفعته إليه ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله حاطبا ؛ فقال : ياحاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يارسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ماغيرت ولا بدلت ولكن كنت امرأً ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين اظهرهم اهل وولد ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله، دعنى فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسـول الله ﷺ : وما يدريك ياعمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : إعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ! فانزل الله عز وجل فى حاطب : ﴿ يَآيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾ .. إلى آخر القصة .

وبسنده إلى ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ـ ﷺ بسفره ، واستخلف على المدينة أَبَارُهْم كلثوم بن حُصَين بن خلَف الغِفارى ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان ، فصام رسول الله ﷺ ، وصام الناس معه ؛ حتى إذا كان بالكَديد ما بين عسفان وأمّج ، افطر رسول الله ﷺ ، ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، فسبَّعت سليم ؛ وألَّفت مزينة(٦٩) وفى كل القبائل عدد وإسلام ؛

---

(٦٩) اى كانت ألفا.

وأوعب[٧٠] مع رسول الله المهاجرون والانصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران ، وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ؛ ولا يدرون ماهو فاعل ؛ فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحَكِيم بن حِزام ، وبُدَيل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ؛ هل يجدون خبراً أو يسمعون به .

وبسنده إلى ابن عباس : وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق ؛ وقد كان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ بِنِيقِ العُقَاب ؛ فيما بين مكة والمدينة ، فالتمس الدخول على رسول الله ﷺ ، فكلمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي ؛ وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال .

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ؛ ومع أبي سفيان بُنَيٌّ له فقال : والله لَيَأْذَنَنَّ لي أو لآخذن بيد بُنَيَّ هذا ؛ ثم لنذهبن في الأرض ؛ حتى نموت عطشا وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ؛ ثم أذن لهما ، فدخلا عليه ؛ فأسلما وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى منه :

لَعمْرِي إنِّي يومَ أحملُ رايةً
لتَغلِبَ خَيْلُ اللَّاتَ خَيْلَ مُحَمَّدُ
لَكَالْمدلج[٧١] الحَيْران أظْلم ليلُة
فَهَذا أوانِي حينَ أُهْدىَ وأَهْتَدِيَ

---

(٧٠) أوعب القوم : خرجوا كلهم للغزو .
(٧١) المدلج : السائر ليلا .

وقال الواقدى : خرج رسول الله ﷺ إلى مكة ، فقائل يقول : يريد قُرَيشا ، وقائل يقول : يريد هَوازن ، وقائل يقول : يريد ثَقِيفا ؛ وبعث إلى القبائل فتخلفت عنه ؛ ولم يعقد الألوية ولم ينشر الرايات حتى قدم (قُدَيْداً) فلقيته بنو سُلَيم على الخيل والسلاح التام ؛ وقد كان عُيَيْنة لحق رسول الله بالعَرْج فى نفر من أصحابه ، ولحقه الأقرع بن حابس بالسقيا ، فقال عيينة : يارسول الله ؛ والله ما أرى آلة الحرب ولا تهيئة الإحرام ، فأين تتوجه يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : حيث شاء الله . ثم دعا رسول الله ﷺ أن تعمى عليهم الأخبار ؛ فنزل رسول الله ﷺ (مر الظهران) ، ولقيه العباس بالسقيا ، ولقيه مخرمة ابن نوفل بِنِيقِ العقاب .

***

فلما نزل مر الظهران خرج أبو سفيان بن حرب ومعه حكيم بن حزام فحدثنا أبو كريب ، قال : أخبرنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى حسين عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب ، وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة : يا صباح قريش[٧٢] ! والله لئن بغتها رسول الله فى بلادها ؛ فدخل مكة عَنْوة ؛ إنه لهلاك قريش آخر الدهر ! فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، وقال : أَخْرُجُ إلى الأراك لعلى أرى حَطَّابًا أو صاحب لبن ؛ أو داخلاً يدخل مكة ؛ فيخبرهم بمكان رسول الله ؛ فيأتونه فيستأمنونه . فخرجت ؛ فوالله إنى لأطوف فى الأراك ألتمس ما خرجت

---

(٧٢) يا صباح كذا ، مما يستعمل من الألفاظ عند الإنذار بالغارة .

له ؛ إذ سمعت صوت أبى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله ما رايت كاليوم قط نيراناً ! فقال بديل : هذه والله نيران خزاعة ، حَمَشَتْها(٧٣) الحرب ! فقال أبو سفيان : خزاعةُ ألأمُ من ذلك وأذَل ! فعرفت صوته ، فقلت يا أبا حنظلة ! فقال : أبو الفضل ! فقلت : نعم ، فقال : لبيك فداك أبى وأمى ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ﷺ ورائى قد دَلَفَ(٧٤) إليكم بما لا قِبَلَ لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرنى ؟ فقلت : تركب عجز هذه البغلة . فأستأمن لك رسول الله ؛ فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فردفنى فخرجت به أركض بغلة رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ونظروا إلىَّ ، قالوا : عم رسول الله على بغلة رسول الله ؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال أبو سفيان ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ! ثم اشتد نحو النبى ﷺ ، وركضت البغلة ، وقد أردفت أبا سفيان ؛ حتى اقتحمت على باب القبة ، وسبقتُ عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطىء ؛ فدخل عمرٌ على رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، هذا أبو سفيان عدو الله ؛ قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ؛ فدعنى أضرب عنقه ؛ فقلت : يارسول الله ، إنى قد أجرته ! ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه اليوم أحد دونى ! فلما أكثر فيه عمر ، قلت : مهلا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من بنى عبد مناف ؛ ولو كان من بنى عدى بن كعب

---

(٧٣) حَمَشَ فلانا : هَيَّجَهُ - ، عن محققه ، .

(٧٤) دلف : مشى مشياً فوق الدبيب - ، عن محققه ، .

ماقلت هذا . فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامُك يوم اسلمت كان أحبُّ إلى من إسلام "الخطاب" لو اسلم ! وذلك لأنى أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام «الخطاب» لو اسلم؛ فقال رسول الله ﷺ: اذهب فقد أمناه حتى نغدو به علىَّ بالغداة . فرجع به إلى منزله ؛ فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ! فقال : بأبى أنت وأمى ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ﷺ ! فقال : بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! أما هذه ففى النفس منها شيء ! فقال العباس : فقلت له ويلك ! تشهد شهادة الحق قبلَ-والله-أن تُضرَبَ عنقك ؛ قال : فَتَشَهَّد .

قال : فقال رسول الله ﷺ للعباس حين تَشَهَّد أبو سفيان : انصرف ياعباس فاحبسه عند خَطْم[٧٥] الجبل بمضيق الوادى ، حتى تمر عليه جنود الله ، فقلت له : يارسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً يكون فى قومه . فقال : نعم ؛ من دخل دار أبى سفيان فهو آمنٌ ، ومن دخل المسجد فهو آمنٌ ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمنٌ . فخرجت حتى حبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادى ؛ فمرت عليه القبائل ، فيقول : من هؤلاء ياعباس ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى ولسليم ! فتمر به قبيلة ، فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : أسلم ، فيقول : مالى ولأسلم ! وتمر جهينة ، فيقول : مالى ولجهينة ! حتى مر رسول الله ﷺ فى الخضراء ؛ كتيبة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فى الحديد ؛ لا يرى منهم إلا الحَدَق ، فقال : من هؤلاء يا أبا الفضل ؟

---

(٧٥) خطم الجبل : أنفه .

فقلت : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والانصار ؛ فقال : يا ابا الفضل ، لقد أصبح "ملك" ابن اخيك عظيما . فقلت : ويحك إنها "النبوة"! فقال : نعم إذاً ، فقلت : الحق الآن بقومك فحذرهم ؛ فخرج سريعاً حتى اتى مكة ، فصرخ فى المسجد : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ! قالوا : فمه ! فقال : من دخل دارى فهو أمن ، فقالوا : ويحك ! وما تغنى عنا دارك ! فقال : ومن دخل المسجد فهو أمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن .

....

وحُدِّثت أن النبى ﷺ قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتلا إلا من قاتلكما ؛ فلما قدم خالد على بنى بكر والأحابيش بأسفل مكة . قاتلهم فهزمهم الله عز وجل ، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ؛ غير أن كُرْزَ ابنَ جابر أَحَدَ بنى محارب بن فهر وابن الأشعر ـ رجلا من بنى كعب ـ كانا فى خيل الزبير فسلكا كَدَاء ، ولم يسلكا طريق الزبير الذى سلك ، الذى أمر به . فقدما على كتيبة من قريش مهبط كداء فقُتِلا ؛ ولم يكن بأعلى مكة من قِبَلِ الزبير قتال ؛ ومن ثم قدم النبى ﷺ . وقام الناس إليه يبايعونه ؛ فأسلم أهل مكة ، واقام النبى ﷺ عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك ، حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين .

وحدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، أن النبى ﷺ حين فرق جيشه من ذى طوى . أمر الزبير أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ؛ وكان الزبير على المُجَنِّبَةِ اليسرى ، فأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء ، فزعم بعض أهل العلم أن سعداً قال-حين وجه داخلًا : « اليوم يوم الملْحَمة ، اليوم تُسْتَحَل الحُرْمة » .. فسمعها رجلٌ

من المهاجرين ، فقال : يارسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، وما نأمن أن تكون له فى قريش صولة ! فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب : أدركه فخذ الراية ، فكن انت الذى تدخل بها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن ابى نَجيح فى حديثه ، أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من «اللّيط» أسفل مكة ، فى بعض الناس ؛ وكان خالد على المجنَّبة اليمنى ، وفيها أَسْلمُ وغِفَارُ ومُزَيْنة وجُهَينة وقبائل من قبائل العرب ؛ وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصبُّ لمكة بين يدى رسول الله ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ من (أذاخِر) ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت هنالك قُبّته .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن ابى نجيح وعبد الله بن ابى بكر ، أن صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو ، وكانوا قد جمعوا اناساً بالخندمة ليقاتلوا ؛ وقد كان حِمَاس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يعد سلاحاً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ مكة ويصلح منها ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أراه يقوم لمحمد واصحابه شىء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم ، فقال :

إن تُقبلوا اليومَ فمالى عِلّة هذا سلاحٌ كامل وألّة(٧٦)
وذُو غرارَين سريُع السَّلة(٧٧)

---

(٧٦) الحربة لها سنان طويلة .

(٧٧) سريع الكشف والإزالة .

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال ، فَقُتِل كُرْزُ بن جابر بن حِسْل بن الأَجَبّ بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، وحُبَيش بن خالد ، وهو الأشعر بن ربيعة بن أصرم بن ضَبِيس بن حرام بن حَبَشية بن كعب بن عمرو ؛ حليف بنى منقذ ـ وكانا فى خيل خالد بن الوليد ، فشذا عنه ، وسلكا طريقاً غير طريقه ، فقتلا جميعا ـ قتل خنيس قبل كرز بن جابر ؛ فجعله كرز بين رجليه ؛ ثم قاتل حتى قتل ...

وبسنده إلى ابن إسحاق قال :

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ؛ ألا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم ؛ إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم ؛ أَمَرَ بقتلهم وإن وُجِدُوا تحت أستار الكعبة ؛ منهم:عبد الله ابن سعد بن أبى سرح بن حُبَيب بن جَذِيمة بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر ابن لؤى ـ وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لأنه كان قد أسلم فارتد مشركاً ، ففر إلى عثمان ، وكان أخاه من الرضاعة ، فَغَيَّبَه حتى أتى به رسولَ الله ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة ، فاستأمن له رسولَ الله ﷺ ، فذكر أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف به عثمان ، قال رسول الله لمن حوله من أصحابه : أما والله لقد صمتّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه ! فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىّ يارسول الله ! قال : إن النبى لا يقتل بالإشارة ؛ وعبد الله بن خطل ، رجل من بنى تيم بن غالب ـ وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً ،، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقا(٧٨) ، وبعث معه

---

(٧٨) مصدقا : جامعا للصدقات .

رجلا من الأنصار ؛ وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، ويصنع له طعاماً ، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركاً ؛ وكانت له قينتان : فَرْتَنَى واخرى(٧٩) معها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر بقتلهما معه ـ والحويرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصي ، وكان ممن يؤذيه بمكة ، ومقيّس بن صبابة ـ وإنما أمر بقتله لقتله الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مرتدا ـ وعكرمة بن أبى جهل ، وسّارة مولاة كانت لبعض بنى عبد المطلب ؛ وكانت ممن يؤذيه بمكة . فأما عكرمة بن أبى جهل فهرب إلى اليمن ؛ وأسلمت امرأته أُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت لـه رسول الله فَأمَّنَه ؛ فخرجت فى طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فكان عكرمة يحدث ـ فيما يذكرون ـ أن الذى رده إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول : أردت ركوب البحر لألحق بالحبشة ، فلما أتيت السفينة لأركبها قال صاحبها : يا عبد الله ، لا تركب سفينتى حتى توحد الله ، وتخلع ما دونه من الأنداد ، فإنى أخشى إن لم تفعل أن نهلك فيها ، فقلت : وما يركبه أحدٌ حتى يوحد الله ويخلع مادونه ! قال : نعم ؛ لا يركبه أحدٌ إلا أخلص . قال : فقلت : ففيم أفارق محمداً ! فهذا الذى جاءنا به ، فوالله إن إلهنا فى البحر لإلهنا فى البر ؛ فعرفت الإسلام عند ذلك ، ودخل فى قلبى . وأما عبد الله بن خطل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ، وأما مقيس بن صبابة فقتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله ؛ رجل من قومه ،

---

(٧٩) ف ابن هشام : « وصاحبتها » ـ عن محققه .

وأما قينتا ابن خطل فقُتِلَتْ إحداهما ، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد ، فأَمَّنَهَا . وأما سارة ، فاستؤمن لها فأمنها ، ثمُ بقيت حتى أوطاها رجلٌ من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح ، فقتلها . وأما الحويرث بن نُقَيْذ ، فقتله عليُ بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال الواقدي : أمر رسول الله ﷺ بقتل ستة نفر وأربع نسوة ، فذكر من الرجال من سماه ابن إسحاق ، ومن النساء هند بنت عتبة ابن ربيعة ، فأسلمت وبايعت ، وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، قتلت يومئذ ، والربية ؛ قتلت يومئذ ، وفَرتَنى عاشت إلى خلافة عثمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر ابن موسى بن الوجيه ، عن قتادة السَّدوسى ؛ إن رسول الله ﷺ قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ، ثم قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مَأْثرة(٨٠) ، أو دم ، أو مال يُدَّعى ؛ فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقايه الحاج . ألا وقتيلُ الخطأ مثل العمد : السوط والعصا ، فيهما الدية مغلظة [مائة من الإبل] منها أربعون في بطونها أولادها .

يا معشرَ قريش ؛ إن الله قد أذهب عنكم نَخوةَ الجاهلية وتعظُّمها بالآباء . الناس من آدم ؛ وآدم خلق من تراب . ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . . ﴾ الآية .

---

(٨٠) المأثرة : الخصلة التى تتوارث ويتحدث بها الناس .

يا معشر قريش ، ويا أهل مكة : ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، اخ كريمٌ وابن اخ كريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

فأعتقهم رسول الله ﷺ ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عَنْوة ، وكانوا له فَيْئاً ، فبذلك يسمىاهل مكة: «الطلقاء»ثم اجتمع الناس بمكة لِبَيْعةِ رسول الله ﷺ على الإسلام ، فجلس لهم - فيما بلغنى - على الصفا وعمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفل من مجلسه يأخذ على الناس . فبايع رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة لله ولرسوله - فيما استطاعوا - وكذلك كانت بيعته لمن بايع رسول الله ﷺ من الناس على الإسلام . فلما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال بايع النساء ، واجتمع إليه نساءٌ من نساء قريش ؛ فيهن "هند بنت عتبة"، متنقبة متنكرة لحدثها وما كان من صنيعها بحمزة فهى تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك ، فلما دنون منه ليبايعنه قال ، قال رسول الله ﷺ - فيما بلغنى - : تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً ! فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه ، قال : ولا تسرقن ، قالت : والله إن كنت لأصيب من مال أبى سفيان الْهَنَةَ والهَنة ، وما أدرى أكان ذلك حِلاًّ لى أم لا ! فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول : أمَّا ما أصبت فيما مَضى فأنت منه فى حل ، فقال رسول الله ﷺ : وإنك لهند بنت عتبة ! فقالت : أنا هند بنت عتبة ، فاعف عما سلف عفا الله عنك ! قال : ولا تزنين ، قالت : يارسول الله ، هل تزنى الحرة ! قال : ولا تقتلن أولادكن ، قالت : قد ربيناهم صغاراً ، وقتلتهم يوم بدر كباراً ، فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب(٨١) . قال : ولا تأتين ببهتان تفترينه

(٨١) استغرب ، معلوماً ، ومجهولا : بالغ فى الضحك - « عن محققه » .

بين أيديكن وأرجلكن ، قالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ؛ ولبعض التجاوز أمثل . قال : ولا تعصينني فى معروف ، قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك فى معروف ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : بايعهن واستغفرَ لهن رسولٌ الله ، فبايعهن عمر ، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ، ولا يمس امرأة ولا تمسه إلا امرأة أحلها الله له ، أو ذات مَحْرم منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبان ابن صالح ، أن بيعة النساء قد كانت على نحوين ـ فيما أخبره بعض أهل العلم ـ كان يوضع بين يدى رسول الله ﷺ إناء فيه ماء ، فإذا اخذ عليهن وأعطينه غمس يده فى الإناء ، ثم أخرجها ، فغمس النساء أيديَهُنّ فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن ، فإذا أعطينه ما شرط عليهن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن ، لا يزيد على ذلك .

***

قال الواقدى : فيها قَتَلَ خِراشُ بن أمية الكعبى جُنَيدب بن الادلع الهذلى ـ وقال ابن إسحاق : ابن الأَثْوع الهذلى ـ وإنما قتله بذَحْل ، كان فى الجاهلية ، فقال النبى ﷺ : إن خراشا قتال ؛ إن خراشاً قتال ! يعيبه بذلك ، فأمر النبى ﷺ خزاعة أن يَدُوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ـ قال محمد بن إسحاق : ولا أعلمه إلا وقد حدثنى عن عروة بن الزبير ـ قال : خرج صفوانُ بن أمية يريد جدة ، ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب ، يانبى الله ، إن صفوان بن أمية سيدُ قومه ، وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر ؛ فأمنه ﷺ ! قال : هو آمنٌ ، قال : يارسول الله ، اعطنى شيئاً يعرف به

أمانك ؛ فأعطاه عمامته التى دخل فيها مكة ؛ فخرج بها عُمير حتى ادركه بجدة ، وهو يريد أن يركب البحر ، فقال ؛ ياصفوان ، فداك أبى وأمى ! أذكّرك الله فى نفسك أن تهلكها ! فهذا أمانٌ من رسول الله قد جئتك به ، قال : ويلك ! اغرب عنى فلا تكلمنى ! قال : أى صفوان ! فداك أبى وأمى ! أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمتك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ! قال : إنى أخافه على نفسى ، قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ؛ فرجع به معه ، حتى قدم به على رسول الله ﷺ . فقال صفوان : إن هذا زعم أنك قد أمنتنى ، قال : صدق ، قال : فأجعلنى فى امرى بالخيار شهرين ، قال : أنت فيه بالخيار أربعة أشهر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام وفاختة بنت الوليد ـ وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل ـ اسلمتا ، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله لعكرمة بن أبى جهل ، فأمنة ، فلحقت به باليمن ، فجاءت به ؛ فلما أسلم عكرمة وصفوان ، أقرهُما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ؛ لما دخل رسول الله ﷺ مكة هرب هُبَيْرَةُ بن أبى وهب المخزومى وعبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمى إلى نجران .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى ؛ قال : رمى حسانُ عبد الله بن الزِّبعرى وهو بنجران ببيت واحد ، مازاده عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجُلاً احَلَّك بُغْضُه نَجْرَانَ فى عَيْشٍ أَحَذَّ لَئِيم(٨٢)

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى ، رجع إلى رسول الله ﷺ ، فقال حين اسلم :

يـارسولَ المليـكِ إنَّ لسانى راتقٌ مافَتَقْتُ إذ انا بُورُ(٨٣)
إذْ أُبَارِى الشيطانَ فى سَنَنِ الرِّيـ ـحِ ومَنْ مَالَ مَيْلَه مَثْبُور(٨٤)
آمَنَ اللَّحْمُ والعظـامُ لـرَبِّى ثم نَفْسى الشهيدُ انتَ النَّذير
إننى عنـك زاجِرٌ ثم حىٌّ من لؤىٍّ فكُلـهُم مَـغْـرُوْرُ

واما هُبَيرة بن ابى وَهْب ، فاقام بها كافراً ، وقد قال حين بلغه إسلام ام هانىء بنت ابى طالب وكانت تحته ، واسمها هند :

اشَاقَتْك هِنْدٌ أم نَاك سؤَالُها كذَاكَ النَّوى اسبابُها وانفتالُها

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بنى غِفار اربعمائة ، ومن أَسْلَمَ اربعمائة ، ومن مُزَينة الف وثلاثة نفر ، ومن بنى سُلَيْم سبعمائة ، ومن جُهَيْنة الف واربعمائة رجل ؛ وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من بنى تميم وقيس وأسد .

* * *

قال : وفيها هَدَمَ خالدُ بن الوليد "العُزَّى" ببطن نَخْلة ، لخمس ليال

---

(٨٢) عيش احذ : قليل منقطع .
(٨٣) بور : هالك .
(٨٤) السنن : وسط الطريق . ومثبور : هالك ـ « عن محققه » .

بقين من رمضان ؛ وهو صنم لبنى شيبان ؛ بطن من سليم حلفاء بنى هاشم .

* * *

قال الواقدى : وفيها هُدِم "سُواع" ؛ وكان بُرهاط لهُذَيل ، وكان حجراً ؛ وكان الذى هدمه عمرو بن العاص لما انتهى إلى الصنم ، قال له السادن : ما تريد ؟ قال : هدم سواع ، قال : لا تطيق تهدمه ، قال له عمرو بن العاص : أنت فى الباطل بعد ! فهدمه عمرو ، ولم يجد فى خزانته شيئاً ، ثم قال عمرو للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت والله .

وفيها هدم "مناة" بالمشلّل ، هدمه سعد بن زيد الأشهلى ، وكان للأوس والخزرج .

* * *

وبسنده إلى عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، قال : اقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمانٍ .

غزوته ـ ﷺ ـ هوازن بحنين

وبسنده إلى عروة قال:أقام النبى ﷺ بمكة عام الفتح نصف شهر ، لم يزد على ذلك ؛ حتى جاءت هوازن وثقيف ، فنزلوا بحُنَيْن ـ وحنينٌ وادٍ إلى جنب ذى المجاز ـ وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبى ﷺ ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من المدينة ، وهم يظنون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة ، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة ، أقبلت هوازن عامدين إلى النبي ﷺ ، وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال ـ ورئيس هوازن يومئذ "مالك بن عوف" أحد بنى نصر ـ وأقبلت معهم ثقيف ؛ حتى نزلوا حنينا يريدون النبى ﷺ ؛ فلما حُدِّث النبى وهو بمكة أن قد نزلت هوازن وثقيف بحنين ، يسوقهم مالك بن عوف أحد بنى نصر ـ وهو رئيسهم يومئذ ـ عمد النبى ﷺ حتى قدم عليهم ، فوافاهم بحنين ، فهزمهم الله عز وجل ، وكان فيها ما ذكر الله عز وجل فى الكتاب ؛ وكان الذى ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة غَنَّمَهَا الله عز وجل رسولَهُ ، فقسم أموالهم فيمن كان أسلم معه من قريش .....

فلما أجمع مالك المسير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ؛ فلما نزل بأوطاس ، اجتمع إليه الناس ؛ وفيهم دريد بن الصمة فى شجار(٨٥) له يقاد به ؛ فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل ! لا حَزْنٌ ضَرس(٨٦) ،

---

(٨٥) الشجار : شبه الهودج . إلا أنه مكشوف الأعلى .

(٨٦) الحزن : المرتفع من الأرض والضرس : الذى فيه حجارة محددة .

ولا سهل دَهِس[٨٧] ؛ مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء ، وبكاء الصغير ! قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فدعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ؛ وإن هذا يوم كائن له مابعده من الأيام ؛ مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويُعار الشاء ، وبكاء الصغير ! قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولم ؟ قال : أردت أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ؛ قال : فانقض به[٨٨] ثم قال : راعى ضأن والله ! هل يرد المنهزمَ شىءٌ ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحت فى أهلك ومالك .

وبسنده إلى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله لينظروا له ، ويأتوه بخبر الناس ؛ فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ماشأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بلق ؛ فوالله ماتماسكنا أن أصابنا ماترى ! فلم ينهه ذلك عن وجهه ؛ أن مضى على ما يريد .

وبسنده إلى عبد الله بن أبى بكر ، قال : ثم خرج رسول الله ﷺ ؛ ومعه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً ، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من غاب عنه من الناس ، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن ....

---

(٨٧) الدهس : اللين الكثير التراب .

(٨٨) انقض به زجره .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما استقبلنا وادى حنين ، انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف[٨٩] حَطُوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً ـ قال : وفى عماية[٩٠] الصبح ، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادى ، فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه ، قد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ـ فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد ؛ وانهزم الناس أجمعون ، فانشمروا[٩١] لا يلوى أحدٌ على أحد ؛ وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ؛ ثم قال : أين أيها الناس ! هلم إلىَّ ! أنا رسول الله ، أنا محمد ابن عبد الله ! قال : فلا شىء ، احتملت الإبل بعضها بعضا ، فانطلق الناس ؛ إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . وممن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته على بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وأيمن بن عبيد ـ وهو أيمن بن أم أيمن ـ وأسامة بن زيد بن حارثة .

***

وبسنده إلى العباس بن عبد المطلب ، قال : إنى لَمَعَ رسول الله ﷺ آخذ بِحَكَمَةِ[٩٢] بغلته البيضاء ، قد شجرتها[٩٣] بها ، قال : وكنت

---

(٨٩) متسع .
(٩٠) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .
(٩١) انقضوا « عن محققه » .
(٩٢) ما أحاط بحنكة بغلته من لجامها .
(٩٣) أى وضعتها فى شجرها ، وهو مجتمع اللحيين .

أمرأ جسيما شديد الصوت ، قال : ورسول الله ﷺ يقول حين رأى من الناس ما رأى : أين أيها الناس ! فلما رأى الناسَ لا يلوون على شيء قال : ياعباس ، اصرخ : يا معشر الانصار ! يا أصحاب السَّمُرَة ! فناديت : يامعشر الانصار ، يامعشر أصحاب السمرة ! قال : فأجابوا : أن لبيك لبيك ! قال : فيذهب الرجل منهم يريد ليثنى بعيره ؛ فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ، ثم يقتحم عن بعيره فيخلى سبيله فى الناس ، ثم يؤم الصوت ، حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، فكانت الدعوى أول ما كانت : ياللانصار ! ثم جعلت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبُراً عند الحرب ؛ فاشرف رسول الله ﷺ فى ركابه ، فنظر مجتلد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمى الوطيس ....

وبسنده إلى البراء قال : كان أبو سفيان بن الحارث يقود بالنبى ﷺ بغلته يوم حنين .

وبسنده إلى جابر بن عبد الله - قال : ....

واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مُكَتَّفِينَ ، وقد التفت رسول الله - ﷺ - إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ وكان حسن الإسلام حين أسلم ، فهو آخذ بثفر[٩٤] بغلته فقال : من هذا ؟ قال : ابن أمك يارسول الله .....

وبسنده إلى أبى بردة عن أبيه قال :

---

(٩٤) الثفر - بالثاء : السير فى مؤخر السرج .

لما قدم النبى - ﷺ - من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى (أوطاس) فلقى دريد بن الصمة ، فَقَتَلَ دريداً وهزم الله اصحابه .

***

قال ابن إسحاق : استشهد يوم حنين من قريش ، ثم من بنى هاشم : أيمن بن عبيد - وهو ابن أم أيمن ، مولاة رسول الله ﷺ - ومن بنى أسد بن عبد العزى: يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد - جمح به فرس له يقال له الجناح - فقتل - ومن الانصار: سراقة ابن الحارث بن عدى بن بلعجلان ، ومن الأشعريين : أبو عامر الاشعرى . ثم جُمِعت إلى رسول الله سبايا حنين وأموالها ؛ وكان على المغانم مسعود بن عمرو القارى ، فأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها .

غزوة الطائف

فحدثنا على بن نصر بن علىٍّ ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا أبى ، قال : أخبرنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : سار رسول الله ﷺ يوم حنين من فوره ذلك ـ يعنى مُنْصَرَفَهُ من حنين ـ حتى نزل الطائف ، فأقام نصف شهر يقاتلهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقاتلتهم ثقيف من وراء الحصن : لم يخرج إليه فى ذلك أحد منهم ؛ وأَسْلَمَ مَنْ حولهم من الناس كلهم ؛ وجاءت رسولَ الله ﷺ وفودُهم ؛ ثم رجع النبى ﷺ ولم يحاصرهم إلا نصف شهر حتى نزل الجِعْرانة ؛ وبها السَّبْى الذى سَبَى رسول الله ﷺ من حنين من نسائهم وأبنائهم ـ ويزعمون أن ذلك السبى الذى أصاب يومئذ من هوازن كانت عدته ستة آلاف من نسائهم وأبنائهم ـ فلما رجع النبى ﷺ إلى الجعرانة ، قدمت عليه وفود هوازن مسلمين ، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلهم ، وأهَلَّ بعمرة من الجعرانة ؛ وذلك فى ذى القعدة .

ثم إن رسول الله ﷺ رجع إلى المدينة ، واستخلف أبا بكر رضى الله تعالى عنه على أهل مكة ، وأمره أن يقيم للناس الحج ، ويعلم الناس الإسلام ، وأمره أن يؤمن من حج من الناس ؛ ورجع إلى المدينة ؛ فلما قَدِمَها قدم عليه وفود ثقيف ، فقَاضَوْه على القضية التى ذكرت فبايعوه ، وهو الكتاب الذى عندهم كاتبوه عليه .....

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ اثنا عشر رجلا : سبعة من قريش ، ورجل من بنى ليث ، وأربعة من الأنصار .

عمرة رسول الله من الجعرانة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً ، وامر ببقايا الفىء ، فحبس بمِجَنَّة ، وهى بناحية مَرِّ الظهران، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته وانصرف راجعاً إلى المدينة ؛ استخلف عتّاب بن اسِيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله ﷺ ـ ببقايا الفىء .

وكانت عمرة رسول الله فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى ذى القعدة أو فى ذى الحجة ، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج تلك السنة بالمسلمين عتاب بن أسيد ؛ وهى سنة ثمان ؛ وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم مابين ذى القعدة ، إذ انصرف رسول الله ﷺ عنهم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

قال الواقدى : لما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بين المسلمين بالجعرانة ، أصاب كل رجل أربع من الإبل واربعون شاة ؛ فمن كان منهم فارسا أخذ سهم فرسه أيضاً . وقال أيضاً : قدم رسول الله ﷺ المدينة لليال بقين من ذى الحجة من سفرته هذه .

قال : وفيها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرو أبنَى الجُلَنْدَى من الأَزْد مُصَدِّقاً ، فخليا بينه وبين الصدقة ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم ورَدَّها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس الذين بها ، وهم كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها .

***

قال : وفيها ولدت مارية إبراهيم فى ذى الحجة ، فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار ؛ فكانت ترضعه .

قال : وكانت قابلُتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ ؛ فخرجت إلى أبى رافع فأخبرته أنها ولدت غلاماً ؛ فبشر به أبو رافع رسول الله ، فوهب له مملوكاً .

احداث سنة تسع

وفيها قدم وفد بنى أسد على رسول الله ﷺ ـ فيما ذكر ـ فقالوا : قدمنا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولا ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ . . ﴾ الآية .

وفيها قدم وفد بَلِيّ فى شهر ربيع الأول ، فنزلوا على رُوَيْفِع بن ثابت البَلَوى .

وفيها قدم وفد الداريِّين من لخْم ، وهم عشرة .

امر ثقيف وإسلامها

وفيها قَدِم ـ فى قول الواقدى ـ عُرْوَة بن مسعود الثقفى على رسول الله ﷺ مسلماً ، وكان من خبره ـ ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ـ أن رسول الله ﷺ حين انصرف عن أهل الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن مُعَتِّب حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم ؛ وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال رسول الله ﷺ ـ كما يتحدث قومهم : إنهم قاتلوك ؛ وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة بالامتناع الذى كان منهم ـ فقال له عروة: يارسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم ـ وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ـ فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ، ورجا ألا يخالفوه لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله ؛ فتزعم بنو مالك أنه

قتله رجلٌ منهم يقال له :أوس بن عوف ، أخو بنى سالم بن مالك ، وتزعم . الأحلاف:أنه قتله رجل منهم من بنى عتاب بن مالك ؛ يقال له: وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىَّ ، فليس فِىَّ إلا مافى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : إن مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه .

***

وفيها قدم وفد أهل الطائف على رسول الله ﷺ ، قيل : إنهم قدموا عليه فى شهر رمضان .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ...

وبسنده إلى يعقوب بن عتبة قال :

فلما خرجوا من عند رسول الله ـ ﷺ ـ وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ـ ﷺ ـ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فى هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ؛ حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يُقَدِّمَ أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهَرْم ، فلما دخل المغيرة ابن شعبة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ـ بنو معتِّب ـ خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ، ويقلن :

الا ابْكِينَّ دُفَّاعٌ اسْلَمَهَا الرُّضَّاع(٩٥)

* لم يحسنوا المِصَاع(٩٦)) *

قال : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك ! واهاً لك ! فلما هدمها المغيرة اخذ مالها وحُلِيَّها وارسل إلى أبى سفيان وحُلِيُّهَا مجموع ، ومالها من الذهب والجَزْع ، وكان رسول الله ﷺ أمر أبا سفيان أن يقضى من مال اللات دَيْن عروة والأسود ابنى مسعود ، فقضى منه دينهما .

●●●

وفى هذه السنة غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك .

غزوة تبوك

قال أبو جعفر ـ بسنده ـ إلى جماعة ينتهون بعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم : إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ؛ وذلك فى زمن عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ؛ وحين طابت الثمار وَأُحِبَّتِ الظلال ؛ فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه ،وكان رسول الله ﷺ قلمّا يخرج فى غزوة إلا كَنَّىَ عنها ، وأخبر انه يريد غير الذى يَصمِد* له: إلا ماكان من غزوة تبوك ، فإنه بَيَّنها للناس لبعد الشُقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يصمِد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

---

(٩٥) اللئام .

(٩٦) المصارعة .

* يقصد

فتجهز الناس على ما فى أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه ؛ مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم .

وقال قائل من المنافقين لبعض : لا تنفروا فى الحر ، زهادة فى الجهاد ، وشكاً فى الحق ، وإرجافاً بالرسول ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

ثم إن رسول الله ﷺ جَدَّ فى سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان[٩٧] فى سبيل الله ، ورغبهم فى ذلك ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظم من نفقته[٩٨] .

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله ؛ وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم[٩٩] ، فاستحملوا رسول الله ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : ﴿ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ . قال : فبلغنى أن يامين بن عُمَير بن كَعْب النضرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن ابن كعب وعبد الله بن مغفل ، وهما يبكيان ، فقال لهما : مايبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به

---

(٩٧) الحملان : مصدر حمل يحمل .

(٩٨) قال ابن هشام : (حدثنى من أثق به ان عثمان بن عفان انفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار ؛ فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض ») .

(٩٩) ابن هشام : « وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد أحد بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أحد بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزنى ـ وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى ـ وهرمى بن عبد الله أخو بنى واقف ، وعرباض بن سارية الفزارى » .

على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحا[١٠٠] فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله ﷺ .

قال : وجاء المعذرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله عز وجل ؛ وذُكِرَ لى أنهم كانوا من بنى غفار ، منهم خفاف بن إيماء بن رَحْضة .

ثم استتب[١٠١] برسول الله ﷺ سفره ، واجمع السير ؛ وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كعب بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلمة ، ومرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف ؛ وكانوا نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم ، فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أُبَىّ بن سلول عسكره على حِدَةٍ أسفل منه بحذاءُ ذُبَاب" ؛ جبل بالجبَّانة أسفل من ثنية الوداع . وكان - فيما يزعمون - ليس بأقل العسكرين ؛ فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب - وكان عبد الله بن أبى أخا بنى عوف بن الخزرج - وعبد الله بن نبتل أخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بنى قينقاع ؛ وكانوا من عظماء المنافقين ؛ وكانوا ممن يَكيدُ الإسلامَ وأهلَه .

قال : وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبلُ وَقَلَّبُوا لك الأمور . . ﴾ الآية .

***

---

(١٠٠) الناضح : الجمل يستقى عليه - عن محلله .

(١٠١) استتب : تتابع واستمر .

قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله ﷺ علىّ بن أبى طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم . واستخلف على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَةَ ، أخا بنى غفار ، ثم إن أبا خيثمة أخا بنى سالم رجع ـ بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً ـ إلى أهله فى يوم حار ، فوجد امرأتين له فى عريشين[١٠٢] لهما فى حائط ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاما ؛ فلما دخل فقام على باب العريشين ؛ فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، قال : رسولُ الله ﷺ فى الضِّحّ[١٠٣] والريح ، وأبو خيثمة فى ظلال باردة وماء بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ! ماهذا بالنَّصَف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ؛ فهيئا لى زاداً ؛ ففعلتا . ثم قدم نَاضِحَهُ فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق ، يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً ، فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : يارسول الله هـذا راكب علـى الطـريـق مقبـل ، فقـال رسـول الله ﷺ : كـن أبا خيثمة ! فقالوا : يارسول الله ﷺ ، هو والله أبو خيثمة ! فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : أوْلَى لك يا أبا خيثمة ! ثم أخبر رسول الله الخبر ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر* نزلها واستقى الناسُ من

---

(١٠٢) العريش : شبيه الخيمة ، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت ـ « عن محققه » .
(١٠٣) الضح : الشمس « عن محققه » .
* الحجر : ديار ثمود .

بئرها ، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ : لاتشربوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضئوا منها للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بنى ساعدة ؛ خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته فى جبلَىْ طَيِّىء ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحب له ! ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيىء ؛ فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

قال أبو جعفر : والحديث عن الرجلين[١٠٤] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدى : فلما أصبح الناس - ولا ماء معهم - شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا الله ، فأرسل الله سحابه فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قلت لمحمود بن لبيد : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم ؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك ؛ ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين

---

(١٠٤) ل ابن هشام : « والحديث عن الرجلين ، عن عبد الله بن أبى بكر عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه قد سمى له العباس الرجلين ؛ ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى - » عن محققه » .

معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، أقبلنا عليه نقول : ويحك ! هل بعد هذا شيء ! قال : سحابة مارة .

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً ؛ فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يارسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ حتى قيل : يارسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

قال : وتلوم[١٠٥] أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه ، فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله ، فنظره ناظر من المسلمين ، فقال : يارسول الله ﷺ ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر ! فلما تأمله القوم ، قالوا : يارسول الله ﷺ ، هو أبو ذر ! فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله أباذر ! يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القُرَظِي ، قال : لما نَفَى عثمانُ أباذر نزل أبو ذر الربذة ، فأصابه بها قدره ، ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن غسلاني وكفناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة

(١٠٥) تلوم : تمكث وتمهل - « عن محققه » .

الطريق ، فاقبل عبد الله بن مسعود ورهط من أهل العراق عمّاراً ، فلم يرعهم إلا بجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ، ويقول : صدق رسول الله ﷺ ! تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك ! ثم نزل هو وأصحابه فواروه .

ثم حدثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ فى مسيره إلى تبوك .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبنى سلمة ، يقال له مخشى بن حمير ، يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأنى بكم غداً مقرنين فى الحبال ؛ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين . فقال مخشىٌ بن حُمَيرٌ : والله لوددت أنى أُقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأنا ننفلت أن ينزل الله فينا قرآنا لمقالتكم هذه . وقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنى ـ لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ؛ فإن أنكروا فقل : بلى قد قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك ؛ فأتوا رسول الله يعتذرون إليه ، فقام وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها(١٠٦) : يارسول الله ، كنا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ ، وقال مخشى بن حمير : يارسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ؛ فكان الذى

---

(١٠٦) الحقب : حبل يشد على بطن البعير ـ ، عن محققه ، .

عفى عنه فى هذه الآية مخشى بن حمير ؛ فسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يعلم مكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له اثر . فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أتاه يُحَنَّه بن رؤبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله ﷺ واعطاه الجزية ، وأهل جَرْباء وأذْرُحُ اعطوه الجزية ، وكتب رسول الله ﷺ لكل كتابا ؛ فهو عندهم .

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكَيْدِر دومة ـ وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانيا ـ فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذاكان من حصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ! قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسَّان ، فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم ؛ فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته ، وقتلوا أخاه حسان ، وقد كان عليه قباء له من ديباج مخوصٌ بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن انس بن مالك ؛ قال : رأيت قباء أكيدر حين قُدِم به إلى رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله : أتعجبون من هذا ! فو الذى نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم

إن خالداً قدم باكيدر على رسول الله ﷺ ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته .

.... قال : فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة ، فكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل ما يَروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشقَّق ، فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا مافيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ؛ فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يارسول الله ﷺ ، فلان وفلان ، فقال : أو لم ننههم أن يستقوا منه شيئا حتى ناتيه ! ثم لعنهم رسول الله ، ودعا عليهم . ثم نزل ﷺ ، فوضع يده تحت الوشل[١٠٧] ، فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه : إن له حسا كحس الصواعق ؛ فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : من بقى منكم ليسمعن بهذا الوادى ؛ وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه . ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل (بذى أوان) بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ؛ وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله ؛ إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ؛ وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه . فقال : إنى على جناح سفر ؛ وحال شغل ـ أو كما قال رسول الله ـ ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ؛ فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد ، فدعا

---

(١٠٧) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا .

رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ، أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدى ـ أو أخاه عصام بن عدى أخا بني العجلان ـ فقال : انطلقا إلى المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه ؛ فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم ابن عوف ؛ وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : انظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخل المسجد وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن مانزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وإلى آخر القصة

بناة مسجد الضرار

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد ، من بني عبيد ابن زيد ؛ أحد بني عمرو بن عوف ـ ومن داره أخرج مسجد الشقاق ـ وثعلبة بن حاطب من بني عبيد ـ وهو إلى بني أمية بن زيد ، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة ابن زيد ، وعباد بن حنيف ؛ أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع بن جارية وزيد بن جارية ، ونَبْتَل بن الحارث ، من بني ضُبيعة ، وبحزج ـ وهو إلى بني ضبيعة ـ وبجاد بن عثمان ـ وهو من بني ضبيعة ـ ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر .

قال : وقدم رسول الله ﷺ المدينة ـ وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ـ فقال رسول الله ﷺ : لا يكلمن أحد أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من

المنافقين ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ﷺ ولم يعذرهم الله ولارسوله ، واعتزل المسلمون كلام هؤلاء الثلاثة النفر ، حتى انزل الله عز وجل قوله : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ، فتاب الله عليهم .

قال : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك فى شهر رمضان . وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف ، وقد مضى ذكر خبرهم قبل .

امر طيىء وعدى بن حاتم

قال ابو جعفر - بسنده - إلى شيبان بن سعد الطائى قال : كان عدى بن حاتم يقول - فيما بلغنى : ما رجل فى العرب كان اشد كراهية لرسول الله حين سمع به منى . أما انا فكنت امرأ شريفاً ، وكنت نصرانيا اسير فى قومى بالمرباع(١٠٨) ، فكنت فى نفسى علي دين ، وكنت ملكاً فى قومى ، لما كان يصنع بى ، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى وكان راعيا لإبلى : لا اباالك ! أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا سمانا مسان ، فأحبسها قريباً منى ؛ فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنّى ، ففعل . ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : ياعدى ؛ ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : قَرِّب لى جمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : الحق بأهل دينى من النصارى بالشأم ، فسلكت الحوشية وخلفت ابنة حاتم فى الحاضر ، فلما قدمت الشأم اقمت بها ، وتخالفنى خيل لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصيب . فقدم

(١٠٨) اسير بالمرباع ؛ اى اخذ الربع من الغنائم ؛ لانى سيدهم « عن محققه » .

بها على رسول الله ﷺ فى سبايا طيىء ، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشأم . قال : فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يحبسن بها ، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه - وكانت امرأة جَزْلَةً - فقالت : يارسول الله ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علىَّ مَنَّ الله عليك ! قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم ، قال : الفار من الله ورسوله ! قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى ؛ حتى إذا كان الغد مر بى وقد أيست ، فأشار إلىَّ رجل من خلفه : أن قومى إليه فكلميه ، قالت : فقمت إليه ، فقلت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علىَّ من الله عليك ! قال : قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنينى . قالت : فسألت عن الرجل الذى اشار إلىَّ أن كلميه فقيل : على بن أبى طالب . قالت : وأقمت حتى قدم ركبٌ من بلى - أو من قضاعة - قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشأم ، قالت : فجئت رسول الله ﷺ ، فقلت : يارسول الله ﷺ ، قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله ﷺ ، وحملنى وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشأم .

قال عدى : فوالله ، إنى لقاعدٌ فى أهلى إذ نظرت إلى ظعينة(١٠٩) تصوب إلىَّ(١١٠) تؤمنا . قال : فقلت : ابنة حاتم ! قال : فإذا هى ؛ فلما وقفت على انسحلت(١١١) تقول : القاطع الظالم ! احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بنية والدك وعورته ! قال : قلت : يا أخية ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فاقامت

---

(١٠٩) الظعينة : المرأة فى الهودج .

(١١٠) تصوب إلى : تقصد .

(١١١) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه مجدة .

عندى ، فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة : ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة ، وإن يكن ملكاً فلن تذل فى عز اليمن وأنت أنت ! قلت : والله إن هذا للرأى . قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه وهو فى مسجده فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها . قال : فقلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى دخل بيته ، فتناول وسادةً من أدم محشوة ليفاً ، فقذفها إلىّ ، فقال لى : اجلس على هذه ، قال : قلت : لا بل أنت ، فأجلس عليها . قال : لا بل أنت ، فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض . قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا(١١٢) ! قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع ! قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ، قال : قلت : أجل والله ـ وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل ـ قال : ثم قال : لعله ياعدى بن حاتم ؛ إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ! فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعله إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ؛ فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف إلا الله ؛ ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايم الله ليوشكن أن تسمع

(١١٢) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .

بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت . قال : فأسلمت ، فكان عدى بن حاتم يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت . وايم الله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه .

الوفود
وفد بنى تميم

قال الواقدى : وفيها قدم على رسول الله ﷺ وفد بنى تميم . قدم على رسول الله ﷺ عطارد بن حاجب بن زرارة بن عُدَس التميمى فى أشراف من تميم ، منهم : الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر التميمى ثم أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم . والحُتات بن فلان ، ونعيم بن زيد ، وقيس بن عاصم أخو بنى سعد فى وفد عظيم من بنى تميم ، منهم عيينة بن حصن بن حذيفة الفزارى .

***

قال الواقدى : وفيها مات عبد الله بن أُبَى بن سلول ، مرض فى ليال بقين من شوال ، ومات فى ذى القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلة .

قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم

قال : وفيها قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير فى شهر رمضان مقرين بالإسلام ؛ مع رسولهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذى رعين .

قال الواقدى : وفيها قدم وفد بهراء على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر رجلًا ، ونزلوا على المقداد بن عمرو .

قال : وفيها قدم وفد بنى البكاء .

وفيها قدم وفد بنى فزارة ؛ وهم بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة بن حصن .

قال : وفيها نعى رسول الله ﷺ للمسلمين النجاشى ، وأنه مات فى رجب سنة تسع .

قال : وفيها حج أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة فى ثلثمائة ، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة ، وساق أبو بكر خمس بدنات . وحج فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى .

وبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب عليه السلام على أثر أبى بكر رضى الله عنه ، فادركه بالعرج ، فقرأ على عليه براءة يوم النحر عند العقبة فسار أبو بكر على الحج ، وسار علىٌّ يُؤذن ببراءة ، فقام يوم الأضحى فأذن فقال : لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب .

فرجع المشركون فلام بعضهم بعضاً ، وقالوا : ماتصنعون وقد أسلمت قريش ! فأسلموا .

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبان ، قال : حدثنا أبو معشر ، قال : حدثنا محمد بن كعب القرظى وغيره ، قالوا : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع ، وبعث علىَّ بن أبى طالب بثلاثين أو أربعين آية من « براءة » ، فقرأها على الناس ،

يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون فى الارض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ، أجل المشركين عشرين يوماً من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم ، ولا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان .

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة فرضت الصدقات ، وفرق فيها رسول الله ﷺ عماله على الصدقات .

وفيها نزل قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ ؛ وكان السبب الذى نزل ذلك به قصة أمر ثعلبة بن حاطب ، ذكر ذلك ابو امامة الباهلى .

قال الواقدى : وفى هذه السنة ماتت أم كلثوم ابنة رسول الله ﷺ فى شعبان ، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب . قال : وقيل غسلتها نسوة من الأنصار ، فيهن امرأة يقال لها أم عطية ، ونزل فى حفرتها أبو طلحة .

قال : وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ .

***

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد

وفيها قدم وفد سعد هُذَيم ، فبسنده إلى ابن عباس قال : بعث بنو سعد بن بكر بن ضمام بن ثعلبة إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه ، فأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه ـ أ هـ وتحدث إلى رسول الله ﷺ وكان ضمام خيرا على قومه قال ـ عنه بعد عودته لقومه : فوالله ما أمسى ذلك اليوم فى

حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما .... يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

ثم دخلت سنة عشر

[سرية خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب وإسلامهم]

قال أبو جعفر : فبعث فيها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر ـ وقيل فى شهر ربيع الأول ، وقيل فى جمادى الأولى ـ سرية فى أربعمائة إلى بنى الحارث بن كعب .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد ابن الوليد فى شهر ربيع الآخر ـ أو فى جمادى الأولى ـ من سنة عشر ، إلى بلحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا لك فاقبل منهم ، وأقم فيهم ، وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ، ومعالم الإسلام ، فإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ، ويدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : ياأيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم إليه ، فأقام خالد فيهم ؛ يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه .

***

قال الواقدى : وفى هذه السنة قدم وفد سلامان فى شوال على رسول الله ﷺ ، وهم سبعة نفر ؛ رأسهم حبيب السلامانى .

وفيها قدم وفد غسان في رمضان .
وفيها قدم وفد غامد في رمضان .

***

[قدوم وفد الأزد]

وفيها قدم وفد الأزد ، رأسهم صرد بن عبد الله في بضعة عشر . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم فحسن إسلامه ، في وفد من الأزد .

سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن

قال : وفيها وجه رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب في سرية إلى اليمن في رمضان . فحدثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هياج ، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي ، قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب .

قدوم وفد زبيد

وفيها قدم وفد زُبيد على النبي ﷺ بإسلامهم ، يتقدمه عمرو بن معديكرب في أناس من بني زبيد فأسلم .

قدوم فروة بن مُسَيْك المرادى

وفى سنة عشر ، وقبل قدوم عمرو بن معديكرب ـ قدم على رسول الله ﷺ فروة بن مُسَيْك المرادى مفارقا لملوك كندة فاستعمله رسول الله ﷺ على مراد وزُبَيْد ومذحج كلها .

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة

وفيها قدم وفد بنى حنيفة ؛ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قدم على رسول الله ﷺ وفد بنى حنيفة ؛ فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب ، فكان منزلهم فى دار ابنة الحارث ؛ امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة ، أن بنى حنيفة أتت بمسيلمة إلى رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله جالس فى أصحابه ، ومعه عسيب من سعف النخل ، فى رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب ، كلم رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله : لو سألتنى هذا العسيب الذى فى يدى ما أعطيتك !

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كنده

وفيها قدم وفد كنده يرأسه الأشعث بن قيس الكندى فى ستين راكبا من كنده فأسلموا .

قال الواقدى : وفيها قدم وفد محارب .
وفيها قدم وفد الرهاويين .
وفيها قدم وفد العاقب والسيد من نجران ، فكتب لهما رسول الله ﷺ كتاب الصلح .
قال : وفيها قدم وفد عبس .
وفيها قدم وفد صدف ، وافوا رسول الله ﷺ فى حجة الوداع .
قال : وفيها قدم عدى بن حاتم الطائى ، فى شعبان .
وفيها مات أبو عامر الراهب عند هرقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن عُلاثة فى ميراثه ، فقضى به لكنانة بن عبد ياليل .
قال : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبر .

***

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

قال : وفيها قدم وفد خولان ، وهم عشرة .
حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، قال : قدم علىَّ رسول الله ﷺ فى هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضبيبى ؛ فأهدى لرسول الله غلاما ، وأسلم فحسنُ إسلامه ، وكتب له رسول الله إلى قومه كتاباً ، فى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول ﷺ لرفاعة بن زيد ؛ إنى بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمن أقبل فمن حزب الله وحزب رسوله ،

ومن أدبر فله أمان شهرين . فلما قدم رفاعة على قومه ، أجابوا وأسلموا .

***

وفد بني عامر بن صعصعة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله ﷺ وفد بنى عامر ؛ فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس بن مالك بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ؛ وكان هؤلاء الثلاثة رءوس القوم وشياطينهم .

فقدم عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به ؛ وقد قال له قومه : يا عامر ؛ إن الناس قد أسلموا فأسلم ؛ قال : والله لقد كنت آليت الا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ؛ أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قدمت على الرجل فإنى شاغلٌ عنك وجهه ؛ فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ؛ فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يامحمد خالنى[١١٣] ؛ قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده ، قال : يا محمد خالنى ، قال : وجعل يكلمه فينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يحير شيئاً ، فلما راى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالنى ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً حمراً ورجالاً ، فلما ولى قال رسول الله : اللهم

---

(١١٣) خالنى بالتشديد : اى اتخذنى خليلا ، وبالتخفيف : تفرد لى خاليا .

اكفنى عامر بن الطفيل ، فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! اين ما كنت أوصيتك به ! والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسى عندى منك ، وايم الله لا اخافك بعد اليوم ابداً . قال : لا تعجل على لا أبالك ! والله ما هممت بالذى أمرتنى به من مرة إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف !

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله ؛ وإنه فى بيت امرأة من بنى سلول ؛ فجعل يقول : يابنى عامر ؛ أغدة كغدة البكر : وموت فى بيت امرأة من بنى سلول ! ثم خرج أصحابه حين واروه ؛ حتى قدموا أرض بنى عامر ؛ فلما قدموا اتاهم قومهم ، فقالوا : ماوراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء ؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بنبلى هذه حتى اقتله ؛ فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين ، معه جملٌ له يبيعه ؛ فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما . وكان أربد بن قيس اخا لبيد بن ربيعة لأمه .

***

قدوم زيد الخيل فى وفد طيىء

وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء ؛ فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ؛ وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم ، فقال رسول الله ﷺ كما حدثنا ابن

حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن رجال من طيىء : « ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل ؛ فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه » ثم سماه زيد الخير ؛ وقطع له فيداً وارضين معه ؛ وكتب له بذلك .

خروج الامراء والعمال على الصدقات

قال أبو جعفر : وفرق رسول الله ﷺ فى جميع البلاد التى دخلها الإسلام عُمّالاً على الصدقات . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، على كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ؛ فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء ؛ فخرج عليه العنسى وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد أخا بنى بياضة الانصارى إلى حضرموت على صدقتها ، وبعث عدى بن حاتم على الصدقة ؛ صدقة طيىء وأسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بنى حنظلة ، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمى على البحرين ، وبعث على بن أبى طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بجزيتهم ..

حجة الوداع

فلما دخل ذو القعدة من هذه السنة ـ أعنى سنة عشر ـ تجهز النبى

إلى الحج ، فأمر الناس بالجهاز له . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت : خرج النبى ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة (١١٤) لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج ؛ حتى إذا كان بسرف ، وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدى وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحلّوا بعُمْرة إلا من ساق الهدْى ، وحضْتُ ذلك اليوم ؛ فدخل علىَّ وأنا أبكى ؛ فقال : مالك ياعائشة ؟ لعلك نفست ! فقلت : نعم ، لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر ، قال : لا تفعلى ؛ لا تقولن ذلك ؛ فإنك تقضين [كل] ما يقضى الحاج ؛ إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله ﷺ مكة ؛ فحل كل مَنْ كان لا هدى معه ، وحل نساؤه بعمرة ؛ فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر [كثير] ، فطرح فى بيتى ، قلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر ؛ حتى إذا كانت ليلة الحصبة ، بعثنى رسول الله مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر ، لأقضى عمرتى من التنعيم مكان عمرتى التى فاتتنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبى نجيح ، قال : بعث رسول الله ﷺ علىَّ بن أبى طالب إلى نجران ، فلقيه بمكة ؛ وقد أحرم ؛ فدخل علىٌّ على فاطمة ابنة رسول الله ﷺ ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا ابنة رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله أن نحل بعمرة ؛ فأحللنا ، قال : ثم أتى رسول الله ﷺ ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله ﷺ : انطلق

---

(١١٤) قال ابن هشام : « فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سباع بن عرفطة الغفارى » .

فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ، فقال : يارسول الله ، إنى قد أهللت بما أهللت به ؛ قال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ، قال : قلت : يارسول الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أهللت بما أهل بى عبدك ورسولك ؛ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : قلت : لا ، قال : فأشركه رسول الله ﷺ فى هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله ؛ حتى فرغا من الحج ، ونحر رسول الله الهدى عنهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه ؛ فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ؛ وخطب الناس خطبته التى بين للناس فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال :

أيها الناس ، اسمعوا قولى ؛ فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبداً . أيها الناس ؛ إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ؛ إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وحرمة شهركم هذا ؛ وستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم . وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن كل رباً موضوع ، ولكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا . وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ـ وكان مسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته بنو هذيل ـ فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

أيها الناس ؛ إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ؛

ولكنه[١١٥] رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم فاحذروه على دينكم .

ايها الناس : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ ، ويحرموا ما احل الله ؛ وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ؛ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ ، ثلاثة متوالية ؛ ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان[١١٦]

اما بعد أيها الناس ؛ فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم احداً تكرهونه ، وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة ؛ فإن فعلن فإن الله إذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان[١١٥] لا يملكن لانفسهن شيئاً ، وإنكم إنما اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ؛ فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى ؛ فإنى قد بلغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ؛ كتاب الله وسنة نبيه .

---

(١١٥) ابن هشام : « ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى مما تحقرون من اعمالكم » ـ « عن محققه » .

(١١٦) قال السهيلى : « إنما قال ذلك : لان ربيعة كانت تحرم ل رمضان وتسميه رجب » ـ « عن محققه » .

عوان : جمع عانية ؛ وهى الاسيرة ـ « عن محققه » .

أيها الناس ، أسمعوا قولى فإنى قد بلغت ، واعقلوه . تعلمن أن كل مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لا مرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس ؛ فلا تظلموا أنفسكم . اللهم هل بلغت ! قال : فذكر أنهم قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله : اللهم أشهد .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كان الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله وهو على عرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف ، قال : يقول له رسول الله ﷺ : قل : أيها الناس ؛ إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى شهر هذا ! فيقولون : الشهر الحرام ،

فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا . ثم قال : قل : إن رسول الله ، يقول : أيها الناس ؛ فهل تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، فيقولون : البلد الحرام ، قال : فيقول : قل : إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . ثم قال : قل : أيها الناس ، هل تدرون أى يوم هذا ؟ فقال لهم ، فقالوا : يوم الحج الاكبر ، فقال : قل : إن الله حرم عليكم أموالكم ودماءكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، أن رسول الله حين وقف بعرفه قال : هذا الموقف ـ للجبل الذى هو عليه ـ وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر

بالمنحر ، قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر ؛ فقضى رسول الله ﷺ الحج وقد أراهم مناسكهم ، وعلمهمماافترض عليهم فى حجهم فى المواقف ورمى الجمار والطواف بالبيت ، وما أحل لهم فى حجّهم وما حرّم عليهم ؛ فكانت حجة الوداع وحجة البلاغ ؛ وذلك أن رسول الله لم يحج بعدها .

* * *

حج رسول الله ـ ﷺ ـ

وبسنده عن جابر أن النبى ـ ﷺ حج ثلاث حجج : حجتين قبل أن يهاجر ، وحجة بعد ما هاجر ، معها عمرة .

وبسنده إلى ابن عمر ، قال : اعتمر رسول الله ﷺ عمرتين قبل أن يحج ، فبلغ ذلك عائشة ، فقالت : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر ؛ قد علم ذلك عبد الله بن عمر ، منهن عمرة مع حجته .

* * *

ذكر الخبر عن ازواج رسول الله ﷺ

ومن منهن عاش بعده ومن منهن فارقه فى حياته ، والسبب الذى فارق من أجله ، ومن منهن مات قبله .

وبسنده إلى هشام بن محمد قال :

...... تزوج فى الجاهلية ؛ وهو ابن بضع وعشرين سنة خديجة بنت

خويلد بن أسد بن عبد العزى ؛ وهى أول من تزوج ، وكانت قبله عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأمها فاطمة بنت زائدة بن الاصم بن رواحة بن حجر بن معيص بن لؤى . فولدت لعتيق جارية ، ثم توفى عنها وخلف عليها أبو هالة بن زرارة بن نباش بن زرارة ابن حبيب بن سلامة بن غذى بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ؛ وهو فى بنى عبد الدار بن قصى . فولدت لأبى هالة هند بن أبى هالة ؛ ثم توفى عنها فخلف عليها رسول الله ﷺ ، وعندها ابن أبى هالة هند ، فولدت لرسول الله ﷺ ثمانية : القاسم ، والطيب ، والطاهر ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال أبو جعفر : ولم يتزوج رسول الله ﷺ فى حياتها على خديجة حتى مضت لسبيلها ؛ فلما توفيت خديجة تزوج رسول الله بعدها ـ أ هـ .

ومن الثابت أنه ﷺ تزوج بعدها بسودة بنت زمعة بن قيس بن

عبد شمس بن عبد ود بن نصر وعائشة بنت أبى بكر الصديق ، ويختلف العلماء فى أيهما تزوجها أولا .

قال أبو جعفر : ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بنى بسودة قبل عائشة .

ثم تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن كعب ـ وكانت قبله عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم . وكان بدريا ، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ ـ فلم تلد له شيئاً ، ولم يشهد من بنى سهم بدراً غيره .

ثم تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة ، واسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشهد بدراً مع رسول الله ﷺ ، وكان فارس القوم ، فأصابته جراحة يوم أحد ، فمات عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ قبل الأحزاب سنة ثلاث ، وزوج سلمة ابن أبى سلمة ابنة حمزة بن عبد المطلب .

ثم تزوج رسول الله ﷺ عام المريسيع جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن مالك بن جذيمة - وهو المصطلق بن سعد بن عمرو - سنة خمس ، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذى الشفر بن أبى سرح بن مالك بن المصطلق ؛ لم تلد له شيئاً ؛ فكانت صفية رسول الله ﷺ يوم المريسيع ، فأعتقها وتزوجها ، وسألت رسول الله ﷺ عتق ما فى يده من قومها ، فأعتقهم لها .

ثم تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ؛ وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير ابن غنم بن دودان بن أسد - وكانت من مهاجرات الحبشة هى وزوجها ، فتنصر زوجها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها ، ومات زوجها على النصرانية ، فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشى فيها ، فقال النجاشى لأصحابه : من أولاكم بها ؟ قالوا : خالد بن سعيد بن العاص ، قال : فزوجها من نبيكم ، ففعل وأمهرها أربعمائة دينار . ويقال : بل خطبها رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان ، فلما زوجه إياها بعث إلى النجاشى فيها ، فساق عنه النجاشى ، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ .

ثم تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب ابن يعمر بن صبرة ؛ وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله ﷺ ، فلم تلد له شيئاً ، وفيها أنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ . . ﴾ إلى آخر الآية ، فزوجها الله عز وجل إياه ، وبعث فى ذلك جبريل ؛ وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ ، وتقول : أنا أكرمكن وليا ، وأكرمكن سفيراً .

ثم تزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النضير ؛ وكانت قبله تحت سلام بن مشكم بن الحكم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج ؛ وتوفى عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبى ﷺ ، ضرب عنقه صبراً ، فلما تصفح النبى ﷺ السبى يوم خيبر ، ألقى رداءه على صفية، فكانت صفية يوم خيبر ؛ ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت ، فأعتقها ؛ وذلك سنة ست .

ثم تزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال ؛ وكانت قبله عند عمير بن عمرو ، من بنى عقدة بن غيرة بن عوف بن قسى ـ وهو ثقيف ـ لم تلد له شيئاً ، وهى أخت أم الفضل امرأة العباس ين عبد المطلب ، فتزوجها رسول الله ﷺ بسرف فى عمرة القضاء ؛ زوجها إياه العباس أبن عبد المطلب ؛ فتزوجها رسول الله .

وكل هؤلاء اللواتى ذكرنا أن رسول الله ﷺ تزوجهن إلى هذا

الموضع ، توفى رسول الله وهن أحياء ، غير خديجة بنت خويلد .
.... وأفاء الله - عز وجل - على رسوله ﷺ ريحانة بنت زيد من بنى قريظة .

وأهدى لرسول الله ﷺ مارية القبطية أهداها له المقوقس صاحب الأسكندرية فولدت له إبراهيم بن رسول الله ﷺ .

ذكر سرارى رسول الله - ﷺ

وهى : مارية بنت شمعون القبطية ، وريحانة بنت زيد القرظية .

***

ذكر موالى رسول الله ﷺ

فمنهم زيد بن حارثة ، وابنه أسامة بن زيد ، وثوبان ، وشقران ورويفع ، وابنه البهى واسمه رافع ، وأخو البهى : عبيدة الله بن أبى رافع ، وسلمان الفارسى ، وسفينة ، وأبو كبشة واسمه : سليم ، وأبو مويهبة ، ورباح الأسود ، وفضالة ، ومدعم ، وأبو ضميرة ويسار ، ومهران ومابور الذى أهدى له ﷺ من المقوقس وخرج إليه من الطائف - وهو محاصر أهلها - أعبد لهم أربعة فأعتقهم ﷺ منهم أبو بكرة .

ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ .

ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحياناً ، وأحياناً على بن أبى طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء بن الحضرمى .

قيل : أول من كتب له أُبَى بن كعب ؛ وكان إذا غاب أبى كتب له زيد ابن ثابت .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، ثم ارتد عن الإسلام ؛ ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة .

وكتب له معاوية بن أبى سفيان ، وحنظلة الأسيدى .

***

ذكر أسماء رسول الله ﷺ

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبى عدى ، عن عبد الرحمن ـ يعنى المسعودى ـ عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن أبى موسى ، قال : سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء ، منها ما حفظنا ، قال : أنا محمد ، وأحمد ، والمقفى ، والحاشر ، ونبى التوبة والملحمة .

حدثنى ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : أخبرنا إبراهيم -

يعنى ابن سعد - عن الزهرى ، قال : أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : قال لى رسول الله ﷺ : إن لى أسماء ؛ أنا محمد ، وأحمد ، والعاقب : والماحى . قال الزهرى : العاقب ؛ الذى ليس بعده أحد ، والماحى : الذى يمحو الله به الكفر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال ، أخبرنا سفيان بن حسين ، قال : حدثنى الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه : قال : قال رسول الله ﷺ : أنا محمد ، وأحمد ، والماحى ، والعاقب والحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، قال يزيد فسألت سفيان ما العاقب ؟ قال : آخر الأنبياء .

***

ثم دخلت سنة إحدى عشرة
ذكر الأحداث التى كانت فيها

قال أبو جعفر : ثم ضرب فى المحرم من سنة إحدى عشرة على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم مولاه وابن مولاه أسامة بن زيد بن حارثة ، وأمره - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبى ربيعة - أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

فبينا الناس على ذلك ابتدىء ﷺ شكواه التى قبضه الله عز وجل

فيها إلى ماأراد به من رحمته وكرامته . فى ليال بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول .

***

وقال الواقدى : بدىء رسول الله ﷺ وجعه لليلتين بقيتا من صفر .

وبسنده إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى ، وأنا أقول : واراساه ! قال : بل أنا والله ياعائشة واراساه ! ثم قال : ما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ، ودفنتك ! فقلت : والله لكأنى بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتى فأعرست ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله ﷺ ، وتتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استعز به وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض فى بيتى ، فأذن له .

وبسنده إلى أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ جلس يوما على المنبر ، فقال : إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عند الله ؛ فاختار ما عند الله ؛ فبكى أبو بكر ثم قال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يارسول الله ﷺ ! قال : فتعجبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد يخير ، ويقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ! قال : فكان رسول الله هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به ؛ فقال رسول الله ﷺ : إن أمَنَّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ؛ ولو كنت متخذاً خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلا ؛ ولكن أخوة الإسلام ؛ لا تبق خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر .

وبسنده إلى خلاد الأسدى ، قال : قال عبد الله بن مسعود : نعى إلينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر : فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت أمنا عائشة ، فنظر إلينا وشدد ، فدمعت عينه ، وقال : مرحبا بكم ! رحمكم الله ! أواكم الله ! حفظكم الله ! رفعكم الله ! نفعكم الله ! وفقكم الله ! نصركم الله ! سلمكم الله ! رحمكم الله ! قبلكم الله ! أوصيكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم ، واستخلفه عليكم ، وأؤديكم إليه ؛ إنى لكم نذير وبشير ، لا تعلوا على الله فى عباده وبلاده ؛ فإنه قال لى ولكم : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقال : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِين ﴾ فقلنا : متى اجلك ؟ قال : قد دنا الفراق ، والمنقلب إلى الله ، وإلى سدرة المنتهى . قلنا : فمن يغسلك يانبى الله ؟ قال : أهلى الأدنى فالأدنى ، قلنا : ففيم نكفنك يانبى الله ؟ قال : فى ثيابى هذه إن شئتم ؛ أو فى بياض مصر ، أو حلة يمانية ، قلنا : فمن يصلى عليك يانبى الله ؟ قال : مهلا غفر الله لكم ، وجزاكم عن نبيكم خيراً ! فبكينا وبكى النبى ﷺ ، وقال : إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا ، على شفير قبرى ، ثم اخرجوا عنى ساعة ، فإن أول من يصلى علىّ جليسى وخليلى جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها ، ثم ادخلوا على فوجاً فوجاً ، فصلوا على وسلموا تسليماً ، ولا تؤذونى بتزكية ولا برنة ولا صيحة ، وليبدأ بالصلاة علىَّ رجال أهل بيتى ، ثم نساؤهم ، ثم انتم بعد . أقرئوا انفسكم منى السلام ؛ فإنى اشهدكم أنى قد سلمت على من بايعنى على دينى من اليوم إلى يوم القيام . قلنا : فمن يدخلك فى قبرك يانبى الله ؟ قال : أهلى مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : حدثنا أبى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : افرغوا عليَّ من سبع قرب من سبع آبار شتى ، لعلى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم .

قال محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : فصببنا عليه من سبع قرب ، فوجد راحة ، فخرج فصلى بالناس ، وخطبهم ، واستغفر للشهداء من اصحاب أحد ، ثم أوصى بالانصار خيراً ، فقال : أما بعد يا معشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم ، الانصار عيبتى[117] التى أويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم . ثم قال : إن عبداً من عباد الله قد خير بين ما عند الله وبين الدنيا فاختار ما عند الله : فلم يفقهها إلا أبو بكر ؛ ظن انه يريد نفسه ، فبكى ، فقال له النبى ﷺ : على رسلك يا أبا بكر ! سدوا هذه الأبواب الشوارع فى المسجد إلا باب أبى بكر ؛ فإنى لا أعلم امرأ افضل يداً فى الصحابة من أبى بكر .

..... وبسنده إلى عائشة ـ رضى الله عنها قالت : ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته ، وتتامَّ به وَجعُه حتى غُمِر .

عن عائشة ، قالت : لما مرض رسول الله ﷺ المرض الذى مات فيه ، أذن بالصلاة ، فقال : مُرُوا ابا بكر أن يصلى بالناس ، فقلت : إن أبا بكر رجل رقيق ، وإنه متى يقوم مقامك لا يطيق ! قال : فقال : مروا أبا بكر يصلى بالناس ، فقلت مثل ذلك ، فغضب ، وقال إنكن

(١١٧) عيبتى : موضع ثقتى وسرى . والعيبة فى الأصل : ما يجعل فيه الثياب .

صواحب يوسف ـ وقال ابن وكيع : « صواحبات يوسف » ـ مروا ابا بكر يصلى بالناس ، قال : فخرج يُهادىَ بين رجلين وقدماه تخطان فى الأرض ؛ فلما دنا من أبى بكر ، تأخر ابو بكر ؛ فاشار إليه رسول الله ﷺ أن قُمْ فى مقامك ، فقعد رسول الله ﷺ ، فصلى إلى جنب أبى بكر جالساً . قالت : فكان أبو بكر يصلى بصلاة النبى ، وكان الناس يصلون بصلاة أبى بكر . اللفظ لحديث عيسى بن عثمان .

حدثت عن الواقدى ، قال : سألت ابن ابى سبرة : كم صلى أبو بكر بالناس ؟ قال : سبع عشرة صلاة ، قلت : من اخبرك ؟ قال : ايوب بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ . قال : وحدثنا ابن أبى سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عكرمة ، قال : صلى بهم ابو بكر ثلاثة ايام .

وبسنده إلى عائشة ، قالت : رايت رسول الله ﷺ يموت ، وعنده قدح فيه ماء يدخل يده فى القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعنى على سكرة الموت !

..... وبسنده إلى أبى بكر بن عبد الله بن أبى مليكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً راسه إلى الصبح ؛ وأبو بكر يصلى بالناس ؛ فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ ، فنكص عن مصلاه ، فدفع رسول الله ﷺ فى ظهره ، وقال : صل بالناس . وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ؛ فصلى قاعداً عن يمين أبى بكر ؛ فلما فرغ من الصلاة ، أقبل على الناس وكلمهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد ؛ يقول : ياأيها الناس ، سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع

الليل المظلم ! وإنى والله لا تمسكون على شيئاً ؛ إنى لم أحل لكم إلا ماأحل لكم القرآن ، ولم أحرم عليكم إلا ما حرم عليكم القرآن . فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه ، قال له أبو بكر : يانبى الله ؛ إنى أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب ، واليوم يوم ابنة خارجة ، فآتيها . ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : رجع رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل علىَّ رجل من آل بكر فى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله ﷺ إلى يده نظراً عرفت أنه يريده ، فأخذته فمضغته حتى ألنْتُه ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستن به كاشد ما رأيته يستن بسواك قبله ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله يثقل فى حجرى . قالت : فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا نظره قد شخص ، وهو قول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ! قالت : قلت : خُيِّرتَ فاخترت والذى بعثك بالحق ! قالت : وقبض رسول الله ﷺ .

***

طبعت بمطابع روزاليوسف